NDU Spirit نشرة دوريّة
حول علامات الحياة
في عالم جامعة سيّدة اللويزة
تصدر عن مكتب العلاقات العامّة.

كانون الأوّل ٢٠٠٠ العدد ١٨

هيئة استشاريّة
عمداء الكليّات

رئيس التّحرير
جورج مغامس

التّحرير بالانكليزيّة
كينيث مورتيمر

ريبورتينغ
روزيت فاضل

مشاركة
مندوبو الكليّات والأندية الطلاّبيّة

إخراج
تكنوبوب

طباعة
مطابع معوشي وزكريّا

جامعة سيّدة اللويزة
زوق مصبح: هاتف: ٢١٨٩٥٠/١/٢/٤/٥(٠٩)
برسا: هاتف: ٧٤٩٤٠٢ (٠٣) - ٤١٦١٠١/٢/٣(٠٦)

في العدد

لكي نسحقّ تلك النعمة	جورج مغامس	٣
مؤتمر: ذاكرة الكنيسة وطروحاتها المستقبليّة حول الثقافة والفنّ والشأن العامّ		٤
الرئيس أمين الجميل محاضراً ومحاوراً		٨
مقابلة مع رئيس مجلس النّواب نبيه برّي		١٧
مقابلة مع النائبين الشيخ فريد الخازن والدكتور باسم يموّت		٢٠
حول ديواني سعيد عقل الجديدين: شرر ونحت في الضوء	د. أمين أ. الريحانيَ د. منيف موسى	٢٣
الميلاد في الجامعة		٢٦
الجامعة في عشاء جامع		٣١
يوبيل البرلمانيين والسياسيين والعاملين في الشأن العام	المطران يوسف بشاره	٣٤
التعليم العالي وعقم التشريع	محمّد ماضي	٤٠
من حضور الرئيس شارل حلو		٤٢
والدي كما عرفته	عصام خوري	٤٦
مع النحّات شاهين رفّول		٥١
مقام الربّ في عكار	انور صابر	٥٦
العولمة والإبداع	د. الياس الحاج	٦٠
يا وطني مسكين أنت	د. عصام حداد	٦٢
صوتُك يُلبسني عُريَك...	ايلي مارون خليل	٦٣
على قارعة الذكريات	خطّار يوسف الحلو	٦٤
قليلاً من الإرادة يا شباب	جسّي كيروز/طالبة	٦٦
من منشورات الجامعة		٦٨

.. لكي نَستحقَّ تلك النعمة

هذه السنة، وفي سنوات سابقات أو لاحقات، تَلاقتْ وتتلاقى أعيادُ المسيحيين والمسلمين. ولَكم نرى، في لبنانَ، على مَدار الأيّام، عناقاً ما بين الصليب والهلال!

ولكنْ، هل نتلاقى في الجوهر: في عمق الايمان وأبعاده السلوكيّة، أم في العَرَض فحسْبُ بمُجاملات اجتماعيّة «فولكلوريّة» عابرة؟

هل نُعلنُ حقّاً ما نُسرُّ، فيفيضَ اللسانُ بما في القلب؟

هل يَنظرُ واحدُنا إلى الآخَر نظرةَ السيّد إلى السيّد والقريب إلى القريب، أم نظرةَ ابنِ الحُرّة إلى ابنِ الأمَة والغريبَ إلى الغريب؟

هل للمثليّة مُقامٌ في مَقام قيمنا، فنرى ونريد، في الآخَر وله، حريّةً وكرامةً وحقّاً واجباً في تحقيقٍ قَصيٍّ للذات بالمعرفة والعدالة والرّفاه والرّجاء؟

هل كلُّنا عيالٌ اليه، فليس فينا المختارُ ولا المُخَلَّصُ دون الآخرين، ولا مالكُ الأرض والعرض أو حاملُ مفاتيح أبواب السماء؟!

.. إنّ ذوي الألباب والضمائر يَستشعرون الإجابات، بل يُوقنونها؛ ومن نافل القول، بالتّالي، إنها تَنطلي على الحسّ العامّ، وهو الشَفيفُ اللطيفُ الرديفُ لهَفيف صوت الله في فضاءات هذا الكونَ الفسيح!

أمّا أصحابُ الأغراض، الكبرى.. والصّغرى، على السّواء، فهم مَن يُلقمون النارَ وقيدَ شهواتهم الصفراء، فتَنداحُ لها تداعياتٌ، هنا وهناك، وَسْطَ قبائل الطحالب، فتَهَوُّش وتَهَوُّس.. وتتهوّرُ في الالتباسات...

نقولُ: النار! وهي النارُ، ساكنةً أو هائجة، قَدَرُها الالتهامُ، لئلاّ تَنطفئَ وتَنعدم. وإنّها، هذه النار، إلى اليوم، تَقتاتُ ممّا فينا من خَلفيّات خبيثة، وما بيننا من خلافيّات نَبيثة، وكأنّما أونةُ فِطامها لمّا تَحِنْ بعدُ!

فعلينا بالمصارحة للمصالحة فالإصلاح. فهي الطريقُ المَلَكيُّ إلى جلاء الحقائق المجتمعيّة والوطنيّة، التي بها وعليها تأتلفُ وتَنتظمُ المبادئُ والمواثيقُ وعهودُ العيش معاً كما يَجبُ ويَليق، من تكافلٍ وتضامُن، ونموٍّ وتقدّمٍ وازدهار...

فلقد كفانا ما ابتُلينا به، وعانينا منه، وجَنيناه على أولادنا...

ولا نَعجَبَنَّ، اليومَ، إنْ رأينا الشبابَ يَنتفضون علينا ويَنتقضون، وقد أورثْناهم أشلاءَ الأشياء، على غير صعيد وفي غير مجال؛ ولمّا نَزَلْ نُثقلُ خُطاهمْ نحو المُستقبل، مستقبلهم هم، بأصفاد الحرمان والمحرّمات والمعوِّقات...

فَلَنحن قومٌ، يوجبُ علينا تاريخُنا والمصير أن نَستوقفَ العبَر ونَستنطقَها، فنقوّمُ ما اعوجَّ فينا ونَبا، ونَستجمعُ قوانا ورؤانا، لنبتنيَ نهضتَنا الجديدة؛ وهي نهضةٌ، سُداها وعُراها الشبابُ، لا محالةَ!

ولن يُجديَنا، في ذلك، لا نَعاميّتُنا ولا تَنمّرُنا، بل مواجهتُنا الموضوعيّةُ الهادئةُ الهادفةُ المعاندةُ في تَدافع ديناميّتها الخلاّقة. فبهذه المواجهة، ومع الشبَاب حتماً، نُقدمُ ونَتقدّمُ. فلماذا إذاً، وإلى متىَ القَفزُ فوقَ الحقائق والوقائع، وتَهميشُ أو تَهشيمُ أشواق الشبَاب وتطلّعاتهم، ودون الأمر تلكمُ المَعاطبُ والمقاتلُ تَكمنُ حيناً وتَنتشرُ؟!

إنّنا، وبحقِّ الصليب والهلال، وأمانةً لقدسيّة رمزيّتهما، أعماقاً وأبعاداً، وبمنأىً عَن كلِّ هَوىً أو غَرض موسميٍّ مُريب ومُعيب.. إنّنا مدعوّون للالتزام الجدّيِّ العَمليِّ المتراكم، لا بشكلانيّةَ الحوار كما ما بين وَحشة جزيرة ووَحشةَ أخرى - وهو المألوفُ المَأسوفُ عليه، بل بحميميّة هذا الحوار في تلازم تَقاطعاته وتَطابقاته الدافئة الصادقة، فنُظهّرُ القيمَ ونُغنيَها ونُعليها، ونَتساقى كؤوسَها - وهو الحتميّةُ الوجوديّةُ لديمومة كينونتنا المتعدّدة الينابيع والروافد، في إطارٍ مَنفتحٍ مِن أبوّة التاريخ وأمومة الجغرافية.

فَللعيش معاً شروطٌ ومقوّمات. وعلينا بها. فما بالُنا نعطّلُها ونشوّهُها، لأجل صغائرنا وكبائرنا، وعلى مرأىً ومَسمعٍ من شبابنا، فنُنفّرهم ونكفّرهم، ثمّ نَستهجنُ قُصورَهم، أو نَستقبحُ جنوحَهم، أو نَستهولُ جموحَهم؟! ألا يا ألفَ ليتَنا نَستقرئُ جروحَهم، ونَتقرّى قروحَهم، فنَجترحَ ما يَشفيهم ويُرضيهم ويَحمي آمالَهم والأحلام!

في تلك الأيّام، نَستحقُّ حقّاً أن نكونَ من أبناء الصليب والهلال.

وَلَكم نحن، لسنا بالفعل، كما نحن بالقول - إنْ هذا صدَق، لكي نستحقَّ تلك النعمة؟!

ذاكرة الكنيسة وطروحاتها المستقبلية

حول الثقافة والفنّ والشأن العامّ

يشكّل المؤتمر الأوّل للسنة الجامعيّة ٢٠٠٠ – ٢٠٠١ الذي عقدته جامعة سيّدة اللويزة في ٢٠٠٠/١١/٢٤ برعاية غبطة البطريرك الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير حول موضوع: «ذاكرة الكنيسة وطروحاتها المستقبليّة حول الفنّ والثقافة والشأن العامّ» مدخلاً لاستعادة ذاكرة الكنيسة وتفعيل مكانتها (الأب بطرس طربيه وعبدو قاعي). وأبرزت المداخلاتُ والمناقشات «محطّات مشرقة في المحافظة على إرث ثقافيّ» (يوسف كمال الحاج). ويذكّر الربطُ بين الكنيسة والفن بقولٍ لشكسبير في إحدى مسرحيّاته: «احذر هذا الشخص، إنّه لا يحبّ الموسيقى»!

يندرج المؤتمر في إطار «التحضير للميلاد الذي يوصل الأرض بالسماء» (المطران بشارة الراعي). تمحورت أبحاثه ومناقشاته حول ثلاث قضايا: ميزات أعمال الكنيسة، ومساهماتها في قضايا الشأن العامّ، وآفاق العمل المستقبليّ.

وكان برنامجُه كالآتي:

الافتتاح

كلمة رئيس جامعة سيّدة اللويزة
الأب بطرس طربيه

كلمة غبطة البطريرك الكاردينال
مار نصرالله بطرس صفير

شهادات طلاّبيّة

الجلسة الأولى

الموضوع: **الكنيسة والفنّ والثقافة في لبنان ماضياً ومستقبلاً**

الرئيس: **المطران بشارة الراعي**

المحاضرون:

د. أنطوان خوري حرب: معالم الكنائس الأولى في لبنان

د. فريد يونس: المساهمة الفنيّة: رموز من الماضي وتطلّعات للمستقبل

المطران جورج خضر: المساهمة الثقافيّة:

د. يوسف كمال الحاج ركائز الماضي وآفاق المستقبل

الجلسة الثانية

الموضوع: **للكنيسة تاريخها في تحريك سياسات الشأن العامّ**

الرئيس: **الأستاذ ميشال إدّه**

المحاضرون:

د. أنطوان نجيم: تجربة الكنيسة انتشاراً وشراكة

الأب العامّ فرنسوا عيد: تجربة المجمع اللبنانيّ ١٧٣٦

الأخت ماري لويز شدياق: تجربة القرطباويّ

المطران يوسف بشارة: تجربة كنيسة من أجل عالمنا

د. جيروم شاهين: تجربة غريغوار حدّاد

الجلسة الثالثة

الموضوع: **للكنيسة طروحات واستشرافات مستقبليّة في مجالات الشأن العامّ**

الرئيس: **د. بيار دكّاش**

المحاضرون:

المطران غي بولس نجيم: سينودوس الأساقفة من أجل لبنان والارشاد الرسوليّ «رجاء جديد للبنان»

المطران رولان أبو جودة: نداءات بكركي ومجلس بطاركة الشرق الكاثوليك

د. أسعد قطّان: الطروحات الأرثوذكسيّة

د. عبدو القاعي: أبحاث الشأن العامّ في جامعة سيّدة اللويزة: من الذاكرة إلى الاستشراف

تطلّعات طلاّب جامعة سيّدة اللويزة في الفنّ والثقافة

د. أنطوان مسرّه: خلاصة مناقشات المؤتمر

١- ميزات أعمال الكنيسة

أظهر المشاركون الميزات الآتية في مختلف أعمال الكنيسة الرعويّة والتربويّة والثقافيّة والاجتماعيّة والانمائيّة بشكل عام:

١- **الفنون الكنسيّة**: الفنّانون «قريبون من الناس» ينشرون «ثقافة حرّة حيث أنّ من يعمل بمخافة الله لا يخاف أحداً من البشر» (**الأب بطرس طربيه**). والفنّانون يرتفعون عن الأنانيّة والخصوصيّة ويسعون إلى الكمال في أعمال فنيّة «تمجّد الله وتخاطب الخالق بحبر وريشة وإزميل» (**فريد يونس**). ويرون وجه المسيح «ليسكنوا إليه» (**المطران جورج خضر**).

٢- **تجذّر الانجيل ثقافيّاً**: تتميّز أعمال الكنيسة «بمركزيّة الحضور وقاعديّته ثقافيّاً لا بالقوّة» وبمساهمتها «في تكيّن (من كيان) الانسان بفضل الثقافة وتثقفنة (من ثقافة) الانجيل، لأنّ الايمان الذي لا يصبح ثقافة هو إيمان غير معيوش بأمانة» (**يوسف كمال الحاج**).

٣- **الحريّات**: إنّ أهداف أعمال الكنيسة «تمكين الانسان» (**ميشال إدّه**). فكان الدير «منطلقاً لمشاريع اجتماعيّة واقتصاديّة في وجود حيّ وحر يبني الناسُ حوله بيوتهم» (**يوسف كمال الحاج**). أمّا الكتاب فهو «أداة نقل وأداة حريّة» (**المطران جورج خضر**)، سعياً وراء اتّحاد «باللسان والعقل والقلب». جاء في الكلمة الافتتاحيّة لغبطة البطريرك الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير: «الكنيسة كانت وستبقى على صورة مؤسّسها السيّد المسيح نوراً وهداية للناس ولساناً يجهر بالحقيقة دونما خوف أو مواربة، وتاريخ الكنيسة، خاصّةً عندنا، يشهد لها، وهو تاريخ كفاح ونضال في سبيل غد أفضل».

لكنّه يقتضي الحذر من عدّة انحرافات، أبرزُها «تغذية العاطفة الدينيّة على حساب المعرفة، وتمثيلُ بالمسيح لتحريك الخيال بدلاً من عمق الايمان، والتركيزُ على يسوع المعذّب والمتألّم بينما تعظيمُ الألم يضرب روحانيّة الفصح، لأنّ الصليب هو ابتلاعُ النصر للوجع» (**المطران جورج خضر**).

٢- مساهمات الكنيسة في الشأن العامّ

يشكّل المؤتمر «سياحة في الذاكرة التاريخيّة للكنيسة» في ما يتعلّق بكلّ قضايا الشأن العامّ، وأبرزها القضايا الآتية:

١- **الأبنية الدينيّة التراثيّة**: يتمظهر الحضورُ المسيحيّ في الشرق من خلال أبنية وآثارات (**أنطوان خوري حرب**). يقتضي العمل باستمرار لتحويل هذا التراث المنظور والملموس إلى حضور إيمانيّ فاعل.

٢- **التعليم**: بفضل المؤسّسات التعليميّة اجتمع في مدارس القرية «أولاد الضيعة إلى جانب أولاد الستّات». وكانت مقرّرات المجمع اللبناني في اللويزة سنة ١٧٣٦ رائدةً في إرساء مفاهيم التربية للجميع (**الأب العام فرنسوا عيد**).

٣- **المؤسّسات التنمويّة**: عُرضت خبراتُ مؤسّسات كنسية عملت في سبيل الانتقال من ذهنيّة الرعاية إلى ثقافة التنمية، أبرزُها مؤسّسة القرطباوي (**لويز ماري شدياق**)، والحركة الاجتماعيّة التي أسّسها المطران غريغوار حداد، «مطران الفقراء والعمل الاجتماعيّ والمطران

المزعج، كما وصفته إحدى الصحف، إذ في ظاهرة غريغوار حدّاد ثلاثة أبعاد: ١) البعد الشخصيّ كرمز بين ٣٠٠ أسقف، و٢) البعد العمليّ التطبيقيّ لتعاليم الكنيسة في قضايا اجتماعيّة وإصلاحيّة لم تكن معهودة، مع إشراك العلمانيين في إدارة الكنيسة، و٣) البعد الفكريّ من خلال مجلّة آفاق» (**جيروم شاهين**).

وذُكرت مشاريعُ لمؤسّسات دينيّة «انتشاراً وشراكة» (**أنطوان نجيم**) وتجربة «كنيسة من أجل عالمنا» (**المطران يوسف بشاره**). وطُرح السؤال: لماذا تراجعت هذه الخبرات أو تعرقلت متابعتها؟ عُرضت ثلاثُ خبرات: ظاهرة الأب هكتور دويهي الذي نُفي، وبيان المسيح الملك الذي أصدره الطلاّب وقُضي عليه، وحركة المطران غريغوار حدّاد. المشترك بين الخبرات الثلاثة هو أنّ «الكنيسة في هذا الشرق هي كنيسة الحقّ، بينما كان الثلاثة يطالبون بكنيسة الصدقيّة» (**سمير خوري**). وكان الجواب: «في المجتمع أناس هم أنبياء وسبّاقون، لكنّهم في حاجة إلى بيئة تحميهم. يحتاج التغيير إلى قوى داعمة له لاستمراريّته. لم تتوفّر هذه القوى لهذه الحركات من داخل المؤسّسات الكنسيّة ومن داخل المجتمع» (**المطران يوسف بشاره**).

٤- **الدفاع عن الحرّيات**: إنّ مساهمة الكنيسة في لبنان دفاعاً عن الاستقلال والحريّات كان رائداً ويقتضي تفعيله (**المطران رولان أبو جوده**). لم تدافع الكنيسة عن موقوفين موارنة بل عن كلّ المظلومين (**الأب بطرس طربيه**). وسُمي المجمع في اللويزة سنة ١٧٣٦ «المجمع اللبنانيّ وليس المجمع الماروني، والمطالبة اليوم بالهويّة والاستقلال ليست عنصريّة» (**سمير خوري**).

٣- ما العمل؟

يُستخلص من الأبحاث والمناقشات التوجّهات العمليّة المستقبليّة الآتية:

١- **الالتزام في الشأن العامّ**: إنّ الشأن العامّ هو الذي «يعيد الكنيسة إلى عالميّتها»

(**الأب بطرس طربيه**). يقتضي تفعيل هذا الالتزام «كنسيّاً ووطنيّاً». يتطلّب هذا الالتزام تطوير المشاركة: «من يشارك في شيء يدافع عنه. فلا نجاح من دون قاعدة على الصعيد الكنسي والوطني. كلّ واحد يسند الآخر، ومن دون هذه الروحيّة لا ينجح الأفراد» (**المطران يوسف بشاره**).

يقتضي أيضاً «الخروج عن الرتابة لاعادة إدخال المسيح إلى الكنيسة وإدخال المسيحيّة إلى هذا العالم، والشهادة للمسيح لدى الآخرين، وعدم العيش بالكذب، فلا تتجمّد الكنيسة بل تتجدّد. الكنيسة الصامتة ليست كنيسة. ولا يجوز التخلّي عن السياسة. المطلوب نظام اجتماعيّ عادل ومُنصف ليبني اللبنانيّون بيتهم المشترك، ويتابعون في القرن الواحد والعشرين دورهم الريادي في النهضة العربيّة» (**ميشال إدّه**). في هذه الحالة «يحمل اللبناني رسالة، وليس فقط كشّة» (**سمير خوري**). ومختلف مجالات الشأن العامّ «ليست حكراً على السياسيين» (**بيار دكّاش**).

٢- **التزوّد من التراث الأنطاكيّ**: يقتضي إحياء هذا التراث وعدمُ نسيان الذين عملوا على استكشافه، منهم يواكيم مبارك وميشال حايك، «والدخول في مرحلة الايضاح والاستيضاح في الحوار المسيحيّ الاسلامي» (**المطران جورج خضر**).

٣- **ثقافة دينيّة من خلال إعلام تواصليّ**: يجب أن يُصاغَ الحديث عن الايمان «بلغة تبلغ إلى القلوب وأنّ يتوجّه إلى كلّ المؤمنين، وأن يكون مسكونيّاً وعربيّاً، ولا تنحصر الثقافة المسيحيّة في اللاهوت بل تشمل الشعر والأدب والفن» (**المطران جورج خضر**). واقتُرح اعتمادُ قراءة نقديّة للتاريخ، وحوار بين الكنائس حول التزام المسيح، فتكون الكنيسة «جامعة ومقدّسة ورسوليّة» (**أسعد قطّان**). وطُرح السؤال: «لماذا المسيحيّون الموهوبون يخرسون في الكتابة عن المسيح»؟ (**المطران جورج خضر**). واقتُرح «دخول فاعل للكنيسة في عالم التقنيّات الحديثة»، «وعلاقة متجدّدة للكنيسة بالفنّ» (**يوسف كمال الحاج**). المسيحيّة هي مصدر قيميّ لحقوق الانسان، إذ تبشّر بأنّ الانسان قيمة ذاتيّة مطلقة، وأنّ الانسان كائن حرّ، وكذلك تبشّر بالأخوّة بين البشر.

٤- **رعائيّة الثقافة**: اقتُرح إيلاء عناية خاصّة بنقل الثقافة والتاريخ لمعالجة «أزمة التفكّك في الشخصيّة الثقافيّة»، وتالياً إنشاء مراكز رعائيّة ثقافيّة (**يوسف كمال الحاج**)، لأنّ الوجود المسيحي هو وجود فكري ويحتاج إلى أنبياء (**الأب العامّ فرنسوا عيد**). يُلاحظ تراجعٌ في الثقافة الدينيّة والثقافة عامّة (**فايز فارس**). ومن ميزات الثقافة في لبنان أنّها تعيش في التنوّع، وتنشرح فيه، فيختلف الأخ مع أخيه ويربيان في بيت واحد» (**المطران غي بولس نجيم**).

إنّ مؤتمر جامعة سيّدة اللويزة هو محطّة جديدة «كي يبقى الارشاد الرسولي أملاً مرجوّاً» (**بيار دكّاش**) وكي تكون «شهادة الحياة أساساً لمصداقيّة الكلام» كما ورد في هذا الارشاد (**سمير خوري**).

اعتُمد في المؤتمر، كما في المؤتمرات السابقة، «العلم والاصغاء إلى الناس لأنّ تجربة الشأن العامّ تبدأ بالايمان بالناس، وهذا ما حاولت جامعة سيّدة اللويزة عمله» (**عبدو قاعي**). وذكَر منسّقُ البرنامج أنّه صدر نتاجٌ رائد في السنوات السابقة، بالاضافة إلى منشورات جامعة سيّدة اللويزة حول «الشأن العامّ»، أبرزُها برنامج «جيل النهوض: تربية متجددة لشباب لبنان اليوم» (المكتب التربوي لراهبات القلبين الأقدسين، المكتبة الشرقيّة، ١٩٩٠ - ١٩٩٦)، وبرنامج «كنيسة الاعمار» (سيدروك، المكتبة الشرقية، ١٩٩٥)، وذلك استمراريّةً لمنهج المجمع اللبنانيّ في اللويزة سنة ١٧٣٦. إنّ برنامج جامعة سيّدة اللويزة اليوم هو «حوار من أجل التغيير» (**عبدو قاعي**) و«منبر جامعيّ منفتح» (**بيار دكّاش**).

* إنّ النص هو خلاصة تحليليّة لأوراق ومناقشات المؤتمر من دون إيجاز مضمون هذه الأوراق. لمزيد من التفاصيل والوضوح تقتضي العودة إلى النصوص الكاملة، وقد صدرت في كتاب من منشورات الجامعة، ضمن سلسلة قضايا الشأن العامّ.

في أوّل لقاء جامعيّ له، بعد عودته إلى لبنان

الرئيس الجميّل في اللويزة محاضراً ومحاوراً حول: شبابنا والمستقبل

هو لقاؤه الجامعيّ الأوّل، بعد عودته إلى لبنان من غربة قسريّة أملتها وأطالتها دوّامةٌ سياسيّة-أمنيّة.. لا بدَّ أن تَنجلي!

تحدّث إلى الشباب المحتشدين، قعوداً ووقوفاً، بعاطفة الأب وحرصه وتطلّعه، فكان بينه وبينهم تأثّرٌ آسر.

من عبِر الماضي وهموم الحاضر خاطبهم. قال:

- الكلام على الديمقراطيّة والحرّيات فارغ مادام لبنان تحت الحماية والوصاية.

- لا حوار إلاّ في ظلّ دولة مكتملة السيادة، وسيادة الشعب على حكّامه، وليس العكس.

- الشباب مدعوّون للانخراط في الحياة العامّة كي لا يبنيَ الآخرون ومدّعو الغيرة المستقبلَ على هواهم.

وقبل القول وبعده، احتفت إدارةُ الجامعة به، فسلّمه الأبُ الرئيس بطرس طربيه ميداليّةَ تقدير ومحبّة، وللسيّدة جويس ديواني سعيد عقل الأخيرين: شرر ونحت في الضوء، من منشورات الجامعة، ثمّ التقى الجميع حول مائدة الغداء.

بلى. بين جامعة سيّدة اللويزة والرئيس الشيخ أمين الجميّل أواصرُ ودّ قديم، بل له في ذاكرتها أَرَجُ عِرفانٍ كبير عن حِبرٍ قَضى ومضى، فكانت، وكان فصلٌ جديد من تاريخ النور اللبنانيّ في هذا المشرق المترنّح من آلامٍ جَمّة...

وهذا ما عبّر عنده مديرُ العلاقات العامّة الأستاذ **سهيل مطر** في تقديمه للرئيس المحاضر. قال:

لن أعرّف، ولن أقدّم، ولن أرحّب، بمحاضرنا، هذا اليوم.

لن أعرّف به، لأنّكم تعرفونه، وإن غاب طويلاً.

تعرفونه، حلّةً ونسباً، هويّةً وانتماء، موقعاً وحضوراً.

تعرفونه، بأُسرته، وببلدته، وبحزبه، وبنضاله، وبالمناصب التي تسلّم، وبالجراح التي لا تزال تنزف في صدره؛ وجراحُ الروح أوجعُ بكثير من جراح الجسد!

لهذا، لن أعرّفَ به،

ولن أقدّمَه، بشهاداته، بخبرته، بدراسته، بمؤلّفاته، وبإنجازاته في حقول الوطنيّة والسياسة والثقافة. أجملُ من الحديث عن الخمرة الطيّبة، تذوّقُ هذه الخمرة. كلماتُه هي شهادةُ تقديم وتعريف به؛ وسنُصغي إليه.

ولن أتحدّثَ عن رجل المغامرة، مغامرة الانقاذ التي قادها سنة ١٩٨٢، والتي، ربّما، لا تزالُ تنادينَا جميعاً إلى التكاتف والتضامن، لعلّنا نصلُ إلى انقاذ هذا الوطن من الأخطار التي تهدّد كيانَه واستقلالَه والحريّة.

ولن أرحّبَ به، خوفاً من أن يقولَ لي: وماذا لك أكثرُ ممّا لي في هذه الجامعة؟ ألا تذكرُ أيّامَ الشقاء والتعب والخطوات الأولى؟ تذكّر:

وأتذكّر: يوم بدأنا في تأسيس هذه الجامعة، سنة ١٩٧٨، على عهد قدس الأباتي بطرس فهد، وبإدارة الراهب، يومذاك، بشارة الراعي، وبالتعاون مع كليّة بيروت الجامعية (الجامعة اللبنانيّة–

الأميركيّة حاليّاً)، كان وراء دعم هذه المؤسّسة الناشئة، مجموعةٌ من أصحاب الأحلام الكبيرة والثقافة المميّزة، وفي طليعتهم الشيخ أمين الجميّل الذي شكّل، مع بعض الأصدقاء، لجنةَ التخطيط والإشراف التي عملت وساهمت في مساندة هذه الجامعة ومدّها بأسباب الحياة والتطوّر.

ويومَ كان لا بدّ من استقلاليّة هذه الجامعة، وصدور مرسوم الترخيص لها، سنة ١٩٨٧، لم يكنْ توقيعُ رئيس الجمهوريّة على المرسوم، توقيعاً شكليّاً، بقدر ما كان ثمرةَ جهد بذله فخامة الرئيس أمين الجميّل، للترخيص لهذه الجامعة، وللانطلاق بها، جامعةً رائدة نرى فيها اليوم، نموذجاً لجامعة المستقبل، والاسمُ عزيزٌ على فخامة الرئيس، ويا ليتنا نعود ونستعيد.

اليوم، إذ نستقبل الرئيس الشيخ أمين الجميّل، محاضراً وزميلاً جامعيّاً، ورجلَ التجربة والخبرة، المتعدّدَ الثقافات واللغات والأدوار، نأمل في أن نسمع منه كلمة الصراحة والشجاعة والموقف.

شبابنا... والاستقلال... أم شبابنا ولا استقلال؟

أم شبابنا ودورهم في الاستقلال؟ أم استقلال شبابنا عنّا وعن الوطن...

فخامة الرئيس أمين الجميّل، بإطلالته الجامعيّة الأولى في لبنان، أهلاً بكم.

جامعةُ سيّدة اللويزة، رئيساً وإدارةً وعمداءَ وأساتذةً وطلاّباً، تشكر لكم حضوركم. تأكّدْ أنّنا، ربّما، نحبّك اليوم، أكثرَ ممّا أحببناك في الماضي، ونأمل في أن نحبّك أكثر في المستقبل.

الكلمة للأستاذ الجامعي أمين الجميّل.

وحاضر الرئيس الجميّل تحت عنوان شبابُنا والاستقلال

أتوجّه بالشّكر أوّلاً، إلى هذا الصرح الجامعيّ، رؤساءَ وإدارةً وطلاّباً، على دعوتهم الكريمة إلى هذا اللقاء يضمُّني لأوّل مرّة منذ عودتي إلى الوطن، إلى شريحة من شبابه، أمل المستقبل، بل المستقبل إيّاه. ولا يَسعُني، في المناسبة، إلاّ أن **أنوّهَ بالجهد الذي يبذلُه هذا الصرح الجامعيّ على الربط العميق بين العمل الأكاديميّ ومشكلات المجتمع**. وقد أُتيح لي أن أطّلعَ على نماذجَ عن هذه الورشة الفكريّة تتجاوزُ الخَطابةَ المنمّقة إلى المفاهيم الفاعلة والواصلة إلى عمق المشكلات الاجتماعيّة. وما أكثرَها!

أيّها الشابّات والشبّان،

إيّاكم أخاطب، وأخاطبُكم من القلب، قلبِ رئيسٍ حَمَلَ صليبَ لبنان في أصعبِ دروبه، أو على الأقلّ قلبِ لبنانيٍّ عاش محنةَ هذا الوطن في كلّ فصولها، ومنها الغربةُ القسريّة عن ربوعه، وحيل بينه وبين العودة إليه مرّات لأنّه لا يفهم لبنان إلاّ سيّداً عزيزاً كريماً.

كان همّي في خلال ولايتي الصعبة والمستحيلة ألاّ أسلّمَ لبنانَ لأيّ جهة أو دولة إقليميّة، كما كان يُطلبُ منّي بإلحاح، وبشتّى الوسائل القاهرة، والقاتلة أيضاً في بعض الأحيان. وأقصدُ بلبنانَ هنا، لبنانَ الرسالة ذات البُعد الكونيّ، ولبنانَ الميثاق التاريخيّ الذي جعل من هذا البلد، ولأوّل مرّة في تاريخه، دولةً سيّدة مستقلّة، وديمقراطيّةً في آن واحد، ومع أوثق العلاقات مع محيطها العربيّ، ومع التطلّع إلى دور عالميّ، ثقافيّ على الأقلّ، إلاّ أنّه عظيمٌ،

ألا وهو الحوارُ الدائم بين الأديان والحضارات وفي خدمة الإنسان.

لا تتعجّبوا إذا كلّمتُكم، أوّلاً، عن هذا الميثاق على رغم ما قاسيتُ من أجله. لأنّه ليس تقاسمَ مقاعدَ نيابيّة أو وزاريّة أو رئاسيّة، كما قد يُخيّلُ لبعضهم، بقَدْرِ ما هو قيمٌ ومفاهيمُ إنسانيّةٌ وحضاريّة كان من أجلها الدستورُ والنظامُ السياسيّ، وما يُعرفُ بالمشاركة في السلطة والقرار السياسيّ. إنّما المشاركةُ هي في رفع مداميك وطنٍ نموذجيّ، ودولةٍ لا مثيلَ لها، لا مشاركةٌ في الغنائم هي دائماً متناقصةٌ.

أستعيدُ هنا هذا الوصفَ للبنانَ الميثاق كما ورد، مرّةً، على لسان بيار الجميّل:

الأوطانُ المسيحيّة كثيرة،

والأوطانُ الإسلاميّة كثيرة،

ولكنْ ما من وطنٍ يلتقي فيه الإسلامُ والمسيحيّة كما يلتقيان في لبنان.

وفي أيّ حال، إنّ الحريّة هي في أساس كينونة لبنان، من الناحية التاريخيّة. وأخصُّ بالذكر هنا حريّةَ المعتقد التي لم يكنْ لها وجودٌ من قبلُ في هذا الشرق، وهي أن يؤمنَ المرءُ أو لا يؤمن، وأن يغيّرَ معتقدَه إذا شاء، ومتى يشاء وكيفما يشاء.

والمؤسفُ ألاّ يُنقلَ إليكم عن ميثاق العام ١٩٤٣ إلاّ ما يتّصلُ بالحصص في السلطة والصلاحيّات التي هي، طبعاً، متغيّرةٌ دائماً أو يقتضي إعادةَ النظر فيها كلّما اقتضتِ الحاجة.

لم يُنقلْ إليكم إلاّ ما هو مكتوب. أمّا ما لم يُكتبْ فلم يُنقلْ إليكم قطُّ، لا في الكتاب المدرسيّ، ولا كتاب التاريخ خصوصاً، ولا في أيّ كتاب. وهو في الحقيقة لا يُنقل مكتوباً أبداً لأنّه روحٌ قبل أن يكونَ دستوراً، ولأنّه حياةٌ وتجربةٌ حضاريّةٌ وإنسانيّة لا تنتهي، ولأنّه حوارٌ دائم لا ينتهي هو أيضاً. الميثاقُ عُقد على مدى الحياة. وقد أثبتت الأيّامُ أنْ كلّما كنّا أمناءَ لهذا الميثاق كان الأمنُ والاستقرار، وكلّما انحرفنا عنه كان التأزّمُ والاضطراب. ولهذا السبب **تراودني فكرةُ التأسيس لهيئة دائمة أو لمنبر دائم في إحدى جامعاتنا، أو في كلّ الجامعات اللبنانيّة، يُعنى بالبُعد الاستراتيجيّ للميثاق الوطنيّ المتجدّد باستمرار، وبالبُعد الثقافيّ والحضاريّ منه خصوصاً**. فلبنانُ ليس بلداً مثلَ سائر البلدان، ولا هو وطنٌ مثلُ سائر الأوطان، ولا هو دولةٌ مثلُ كلّ الدول. إنّه وطنُ الحوار الدائم بين المعتقدات والحضارات، وبخاصةٍ المسيحيّة والإسلام.

صدّقوني، هذه هي الثوابتُ التي أبَيتُ التخلّيَ عنها أو التساهلَ في شأنها إبّان ولايتي الصعبة والمستحيلة، ليقيني بأنّ لبنانَ من دونها لا

يبقى، بل لأنّ من أجلها كان، فيما اللعبةُ الإقليميّة والدوليّة تَرى إليه على أنّه الساحةُ الفُضلى لها وللنزاع الإقليميّ ريثما تَنضجُ التسويةُ السياسيّة له وتكتمل. وقد أثبتت التجربةُ عبثيّةَ الحروب التي جعلوا لبنانَ ساحةً لها، وأثبتتْ أيضاً أنّ لبنانَ البلدَ المثالَ هو الحلُّ لكلّ هذه النزاعات، شرط أن يكونَ سيّداً حرّاً مستقلاً طبعاً.

فلا حوار، ولا ديمقراطيّة، ولا حريّات إلاّ في ظلّ دولة مكتملة السيادة، سيادة الدولة على حدودها كلِّها وعلى كلِّ أراضيها، وسيادة الشعب على حكّامه وليس العكس. وكلُّ كلام على الديمقراطيّة والحريّات هو كلامٌ فارغ طالما أنّ لبنان هو تحت الحماية أو الوصاية، وصاية هي فقط كي يَظلَّ ساحةً، لا لأنّه قاصرٌ أو فاقدُ الأهليّة أو عرضةٌ للفتنة إذا رُفعتْ عنه الحمايةُ. لقد سَبق أن كانت تحت الحماية فانتفض عليها في العام ١٩٤٣، وبدلاً من أن تحدثَ فتنةٌ حدث العكس. والصحيح أنّ استمرار الحماية الخارجيّة كان سيعرّضه للفتنة ولما هو أدهى لو لم يبادرْ أهلُه إلى التوافقِ على تلك الاستراتيجيّة التي رَسم خطوطَها الميثاقُ الوطنيّ، على المستويين الداخليّ والخارجيّ، وكان استقلالُه الكامل الناجز أوّلَ استقلال في المنطقة العربيّة والشرق الأوسطيّة.

وعلى هذا النحو أيضاً يستعيد لبنانُ سيادتَه واستقلاله.

أيّها الأعزّاء،

الاستقلال يُؤخذ ولا يُعطى. يُؤخذ بالأسنان، بالتضحية، وعند الضرورة بالتضحية القصوى، بالفداء.

فإنجازُ العام ١٩٤٣ كلّف أثماناً من هذا القَبيل. وهل هو قليلٌ أن يُعتقلَ رئيسُ الجمهوريّة يومَذاك ورئيسُ الحكومة

الاستقلاليّة الأولى وبعضُ الوزراء والزعماء ويُزَجّوا في السجون؟ وكان قد سبقهم إلى السجون والمشانق العشراتُ من المنادين بوحدة الكيان اللبناني واستقلاله.

وما من تضحيةٍ إنسانيّة تَذهبُ سُدىً.

فلا تندموا على ما دفعتموه من أثمانٍ على الحريّة والاستقلال. من جهتي، لستُ نادماً أبداً على ما كلّفني صمودي في خلال ولايتي، أو في خلال منفاي من قهر، واغتيال سياسيّ بعدما تعذّر الاغتيالُ الآخر. ولا أعتقدُ أبداً أنّ دمَ أخي بشير ورفاقه ودمَ سائر الشهداء ذهب هدراً. **فالاستقلالُ آت بلا ريب إذا ما تواصل العزمُ على انتزاعه**، بالأسنان كما قلت، مع كلّ ما تعنيه هذه الكلمةُ من عزم وعناد وروح فداء. **ودورُ الشباب، هو المعوَّلُ عليه** كما في الأمس وفي كلّ زمن وبلد. وأنتم، في أيّ حال، أنتم أنفسُكم، لبنانُ الآتي، أو لبنانُ الغد كما يُقال، أو لبنانُ الذي يجبُ أن يكونَ سيّداً عزيزاً كريماً ومرفوعَ الرأس. **وكما تكونون سيكون لبنانُ**، والعكس بالعكس. ولستُ هنا لألقيَ عليكم موعظةً في الاستقلال، بل لأبسطَ أمامكم خلاصات لتجربة عشتُها وتقلّبت في نارها، مناضلاً في تنظيم سياسيّ، ومقاتلاً، ورئيساً مؤتمناً على دستورٍ وسلامةِ أرضٍ وحدود.

إنّ أوّلَ ما استوقفني هو التفاوتُ الكبير ما بين عظَمِ الحسّ الوطنيّ لدينا جميعاً الذي صنَع المعجزات في التمرّد على الهيمنة، خارجيّةً كانتَ أو داخليّة، من جهة، وتضاؤل الحسّ المدنيّ – إنْ جاز القول – الذي لا يَصنعُ، طبعاً، أيَّ معجزة على مستوى التأسيس لدولة تُقيمُ حكمَ القانون على الجميع وتسهرُ على الحريّات وحقوق الإنسان من جهة ثانية. ولا أبالغُ إذا قلتُ إنّ هذا التفاوتَ بين الحسّ الوطنيّ والحسّ المدنيّ يشكّل العاملَ السوسيولوجيّ الدائم في تاريخنا.

إنّ ثمّةَ ذهنيّةً تتحكّمُ بنا جميعاً على هذا الصعيد، موروثةً عن زمنٍ مضى حيث «الشطارة» تقومُ مقامَ الصدق والاستقامة، والفوضى مُقامَ الالتزام، ناهيك عن الأنانيّة المفرطةَ والانفلات في الرغبات الذاتيّة. فالتنشئةُ على المسؤوليّة الشخصيّة تكاد تكونُ معدومةً، ومخالفةُ القانونِ والنظامِ هي بطولةٌ. أمّا مفهومُنا للدولة، فلا يزالُ كما كان في عهدِ الدولة العثمانيّة التي هي النموذجُ الذي لم يَعرف اللبنانيّون سواه على مدى أربعةِ قرون، وليس أدلّ على ذلك ممّا حدث لدولة الاستقلال بعد قيامها.

وأكرّر: إنّ ما تمّ إنجازُه في العام ١٩٤٣ كان عظيماً: إستقلالٌ كامل ناجز أحلّ لبنانَ في مرتبة عالية في الأسرة العربيّة والدوليّة، وعضواً مؤسّساً في جامعة الدول العربيّة، وفي منظّمة الأمم المتّحدة، كما في الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان. وقد برهن اللبنانيّون، عَهدَ ذاك، عن أنّهم شعبٌ حرّ وعنفوانيّ إلى أبعد الحدود، والأهمُّ من ذلك كلّه عظمُ روحِ التمرّد لديهم حتّى الاستشهاد التي جمَعتْ في ما بينهم وأسّست للميثاق الوطنيّ وما استتبعه من تضحيات متّصلة على مدى الزمن. هذا الشعورُ الوطنيّ الجيّاش لم يقترنْ لاحقاً بالشعورِ بالمسؤوليّة عن الإنجاز الذي صنعتْه تلك التضحيات، حتّى ليصحّ القولُ إنّ اللبنانيين لا يبخلون بأيّ تضحية للوصول إلى الاستقلال، لكنّهم لا يعرفون كيف يحافظون عليه.

الاستقلالُ، أيّها الأعزاء، مسؤوليّةٌ، بل عمليّةُ خَلقٍ متواصلةٌ. إذ ليس قليلاً أو أمراً بسيطاً أن يكونَ شعبٌ أو بلدٌ مسؤولاً عن نفسه، أي في غنىً عن أيّ حماية لأمنه واستقراره وسلامة أرضه وحدوده، وبخاصّة في حالِ لبنانَ وَسَطَ محيطه الذي هو في غليانٍ دائم. وغنيٌّ عن القولِ أنّ كلّ ما يحدث في جوارنا يؤثّر، سلباً أو إيجاباً، على

أمن بلدنا كما على استقلاله الوطنيّ. وكلُّ التحدّي أن يعرفَ أهلُه، وبخاصّة أنتم المسؤولون لاحقاً عن مصيره، كيف تُؤمّنُ هذه **الحمايةُ الذاتيّة التي ليست عسكريّةً بقدرِ ما هي ثقافيّةٌ وسياسيّة أو ديبلوماسيّة**. فإذا صحَّ أنْ لا غنى عن جيش، مثلاً، يدافعُ عن الأرض والحدود وعن الكرامة الوطنيّة والاستقلال، وعن تصدّينا جميعاً بالسلاحِ وبروح الفداء لأيّ اعتداء خارجيّ، إلاّ أنّ كلَّ التحدّي أن نعرفَ كيف نمنع كلّ الحروب وويلاتها عن بلدنا. ويبدأ ذلك بالتوافق على استراتيجيّة دفاعيّة لبنانيّة تنطلق من تحصين المجتمع وتمتين بنيته على كلّ المستويات وتتأسّس على معنى وجود لبنان واستقلاله ودوره ورسالة شعبه، يتأسّسُ على قراءة واضحة لواقعِ محيطنا، وعلى مواكبة دائمة للأحداث الجارية حولنا. وهذا مكمّلٌ لميثاقنا الوطنيّ، إذ لا سياسةَ دفاعيّةً وخارجيّة إلاّ انطلاقاً من رؤية لبنانيّة واحدة لهذه الأحداث يصنعُها الحوارُ الدائم والنقاشُ المبنيّ على وقائعَ، لا على المشاعرِ فقط.

إنّ التخلّيَ عن هذا الموجب هو تَخلٍّ عن السيادة والاستقلال.

وليس صحيحاً أنّ مثلَ هذه المسألة هي من شأن الحكّام فقط، أو من شأن الدولة كما يُقال، فلا علاقةَ للناس بها. هذا كلامٌ مخالفٌ لمعنى الدولة التي هي شعبٌ أيضاً وفي الدرجة الأولى، فضلاً عن أنّها تتّصلُ بالوفاق اللبنانيّ وبالميثاق الوطنيّ. إنّ لَمن الغرابة أن يُدعى اللبنانيّون إلى الذهاب إلى الحرب أو إلى السلم أيضاً من دون أن يَعرفوا كيف ولماذا.

أشيرُ إلى هذه الأمثلة والحقائق للدلالة على المسؤوليّة التي تنتظرُكم. فالمعرفةُ هي الزادُ الذي لا غنى عنه، والمؤدّيةُ إلى ثقافة سياسيّة لا غنى عنها أيضاً لكلّ شعب يريد أن يكونَ مسؤولاً عن نفسه.

أيّها الشابّات والشبّان،

إنّ معركةَ الاستقلال تبدأ بتحديد ثقافة الاستقلال: La culture de l'Indépendance.

فأنتم مدعوّون الآن إلى أداء دور تاريخيّ ينطلق من تعبئة مجتمعنا في هذا الاتجاه. **إنّكم مدعوّون للتصدّي لمحاولات تيئيس الشعب اللبنانيّ من الاستقلال وترويضه على التأقلم مع الأمر الواقع وإيهامه أيضاً بأنّ الاستقلالَ في هذا الزمن قَد تلاشت حدودُه ولم يبقَ له ما يبرّرُه**. فلا بدَّ بَعدَ هذا التنكيلِ بلبنانَ وشعبه، من حملة مضادّة تبدأُ في ذواتكم أنتم رَفضاً لواقعِ الحال، فينتقلُ هذا الرفض بالعدوى التي تكلّم عليها برغسون، وتشكّلُ في النهاية ديناميّةً جديدة تَعمُّ مجتمعَنا كلَّه وتُسقطُ كلَّ الادعاءاتِ المخالفة والقوى الداعمةَ لها.

فلا غنى عن هذه اليقْظة الوطنيّة تكونون أنتمُ الطليعةَ المتحركةَ لها:

– في الجامعة، مختبرِ الأفكار والمبادرات الخلاّقة، والتي في إطارها تتكوّنُ حركةُ التغيير في كلّ بلد ومجتمع، وكلّ الحركات الوطنيّة عادة. والأمثلةُ على هذه الظاهرة عديدة، في فرنسا العام ١٩٦٨، وفي ألمانيا قبل سقوط جدار برلين، وفي الولايات المتّحدة الأميركيّة إبّان تورّطها في حرب فيتنام العبثيّة. وقِسْ على ذلك.

– وفي الأحزاب السياسيّة التي شاخت فاقتضى مدُّها بروح الشباب وعافيته، كما في السابق حينما كانت المنظّماتُ الشبابيّة فيها هي «المشتل» للكوادر النشطة والمتحرّكة، ومصدر التجديد فيها والتغيير. وإذا ما تَمنّعتْ أو سُدّتْ أبوابُها في وجهكم، فاقتحموها وبدّلوا ما فيها من عفن أو كهولة أو استرخاء أو تبعيّة أو انغماس في الشهوات.

– وفي الأندية على أنواعها كما في كلّ تنظيمات المجتمع الأهليّ أو المدنيّ، وما أكثرَها على تعدّد اهتماماتها وأهدافها. إنّها كلُّها مجالٌ للتعبير عن التزامكم الشأنَ العامّ وقضيّةَ الوطن والدولة والاستقلال. بل إنّها الإطارُ الصالح لقيام تضامن مجتمعيّ ووطنيّ حقيقيّ. وفي اختصار، لا تكونوا على الحياد في زمن يقضي بالانخراط الكامل في القضايا العامّة والوطنيّة: إنّ مستقبلَ لبنانَ موقوفٌ على ذلك.

وإنّي، إذ أتكلّم على مسؤوليّتكم، حاضراً ومستقبلاً، لا أنسى حقوقَكم، علينا وعلى من سبقكم إلى هذه المسؤوليّة.

إنّ لَمن الغرابة أيضاً أن يتقرّرَ مصيرُ لبنان، أي مصيرُكم، بمعزل عنكم. فلا الدولةُ، ولا السلطةُ السياسيّة تسألكُم رأيَكم، ولا المؤسّساتُ السياسيّةُ تتّسعُ لكم بحجّة أنّكم لم تبلغوا سنَّ الرشد مثلاً. ولا الأحزابُ، لسوء الحظّ، هي مؤهّلةٌ كفايةً لاستقبالكم في صفوفها... أو لأنّ الطبقةَ الحاكمة والوصاية المفروضة على لبنان لا تريدان أحزاباً نشطةً تُشْركُ الشعبَ في القرارات السياسيّة والوطنيّة.

واضحٌ أنّهم يريدون هذا الشعبَ أفراداً لا يربط بينهم رابط. يريدونه مبعثراً: فلا أحزابٌ منظّمةٌ، ولا نقاباتٌ نشطةٌ ومتحرّكة، ولا جمعيّاتٌ أهليّة إلاّ مرتهنة. فيما الصحيحُ أنّ ما يحفظُ شعباً هي مؤسّساتُه، العامّةُ والخاصّةُ والأهليّةُ في الدرجة الأولى، لا سيّما في حال لبنانَ الراهنة حيث مؤسّساتُه الرسميّةُ أو الشرعيّة تشكو أكثرَ من خلل، على مستوى التمثيل الصحيح، ولكلّ الأجيال، كما على مستوى العلاقة في ما بينها. وأنتم، في أيّ حال، غيرُ ممثّلين في هذه المؤسسات، ومتروكون، ريثما تفترُ همّةُ الشباب فيكم أو تَقِلُّ الحماسة. فلبنانُ الراهن يجب أن يظلَّ هادئاً مستكيناً، وشبابُه مَعفيّاً أو مستقيلاً من أدواره. وهذا ما ينبغي التصدّي له بأكبر قَدْرٍ من العناد والتمسّك بالحقّ على كلّ المستويات.

حَدَثَ ذلك في الأمس، في ظلّ الانتداب، أو الوصاية السابقة.

إلاّ أنّ الأمرَ لم يكنْ حائلاً دون تلك الانتفاضة التي تمثّلتْ في منظّمات شبابيّة كان لها الدورُ الأساسيّ في معركة الاستقلال. كانت ممنوعةً ومحظورة، إلاّ أنّها حيّةٌ نشطة، وحاضرةٌ أبداً، وبخاصّة في هذا الزمن، زمنِ العولمة القافزة من فوق الحدود السياسيّةَ وخصائصِ الشعوب والهويّات الوطنيّة، وبالتّالي، من فوق حقوق الإنسانَ. إنّ الانفتاحَ وإزالةَ الحواجز بين الشعوب وتحرير التبادل في ما بينها على كلّ الأصعدة من القيود الجائرة، أمورٌ فيها النفعُ والفائدة، ولكنْ فيها أيضاً أخطارٌ عديدة على الهويّات والثقافات الوطنيّة إنْ لم تكنْ هذه محصّنةً تحصيناً كافياً ضدّ هذا الاجتياح. وفيها كلُّ الخطرعلى العائلة وعلى مجتمعاتنا في هذا المشرق، المشرق العربيّ وتراثاته وحضاراته. إنّنا، في لبنان، معنيّون بهذا التغيير الهائل على المستوى العالميّ، ومعنيّون أيضاً بهذه المشرقيّة التي تشكّل خطَّ دفاعٍ أساسيّاً لنا ولكلّ الشعوب العربيّة والشرق الأوسطيّة.

في أيّ حال، **إنّ من حقّكم أن تقولوا أيَّ لبنانَ تريدون**، وأيَّ إعمارٍ ونهوض اقتصاديّ، وأيَّ مدرسة ومعهد وجامعة، وأيَّ تعليم وتربية.

أنتم لبنانُ الغد، فلا تَدَعوا الغيارى ومدّعي الغيرة على مستقبلكم يبنونه على هواهم وبمعزل عنكم. **فأين الحركةُ الطالبيّة تعود كما كانت في السابق**؟ أين الاتحادُ الوطنيّ للطلاّب الجامعيين... أو أين هو التنظيمُ الطالبيّ الجامع بين هذه الطاقات الهائلة، والمانع للفوضى، والمتعاون مع المؤسّسات والهيئات التعليميّة على النهوض بالمعرفة والعلم في لبنان إلى مستوى رسالة هذا البلد ودوره الإقليميّ والعالمي، أو على الأقلّ إلى مستوى الثورة الاقتصاديّة الجديدة التي ستقلب حياةَ المجتمعات البشريّة رأساً على عقب.

إنّه **اقتصادُ المعرفة**، حيث المعرفةُ هي المادّةُ الأساسيّة، إن جاز القول، وحيث لبنانُ يستطيع، بفضل عبقريّة إنسانه، أن يكونَ متفوّقاً، وبخاصّة في زمن أصبحت الحروبُ فيه حروباً اقتصاديّة، لا عسكريّة، أو حيث عظمةُ الدولِ تقاسُ بعددِ علمائها لا بعددِ عسكرها وضخامة جيوشها.

ولا شيءَ يَمنعُ لبنانَ، أساساً، من أن يكونَ، على الأقلّ، دولةً محترمة من هذا القبيل، إضافةً إلى رسالته ذات البُعد الكونيّ والإنسانيّ، بل بوسعه أيضاً أن يكونَ بلداً عظيماً على الصعيدين معاً.

أمّا استقلالُه، فمن أجل هذا الدور، وهذه الرسالة.

وبعد المحاضرة، كانت جولة من الأسئلة والأجوبة تميّزت بالشفافية والصراحة والخوف على لبنان الغد.

أسئلة وأجوبة

.. وردّاً على سؤال عن عدم تنفيذ **اتفاق الطائف** قال: «اعترضتُ على اتفاق الطائف وتحفّظت. وفي ظلّ الوضع الراهن وتكبيل الارادة اللبنانيّة، من الصعب تحقيق أيّ مشروع وطنيّ يصبّ في خانة المصلحة اللبنانيّة. أذكّرالحضورَ أنّ ثمّة جهات تتمنّى بقاءَ لبنان ساحةً، لا وطناً. وقد نتحمل قسطاً ممّا يحصل، لأنّ أيّ قوّة أجنبيّة لا تستقرّ في البلاد لو وَجدت إرادةً مصمّمة على التصدّي لها.

الاستقلال يؤخذ ولا يعطى. يؤخذ بالأسنان، بالتضحية، وبالشهادة عند الضرورة. فلا تندموا على ما دفعتموه من أثمانٍ عن الحريّة والاستقلال».

وبالنسبة إلى مبادرة توحيد **حزب الكتائب** قال: «نحن على وشك الوصول إلى حلّ المشكلة، ونأمل في أن يكونَ الوحي نزل على الرفاق. إنّ توحيد الحزب أمر ضروريّ لإعادة التوازن على الساحة عموماً. فهو مدخل للحوار المسيحيّ–المسيحيّ، ودعمٌ لموقف البطريرك الماروني مار نصرالله بطرس صفير والنداء الذي أطلقه أخيراً، وجسرٌ لتحقيق الوحدة الوطنيّة الشاملة».

أمّا عن محاكمة قدامى «**جيش لبنان الجنوبي**» فاعتبر أنّ الجنوبيين يدفعون ثمنَ عقمِ بعض المسؤولين وعمالة بعضهم الآخر؛ وهذه أكبر جريمة تُرتكَبُ في حقّ شعب، علماً أنّنا لم نعشْها أيّةَ تجربة مماثلة لهذا الواقع في العالم.

وهنا لا بدّ لي من القول أنّ سكّان برلين الذين تعاطوا مع النظام الشيوعيّ لم يُحاكموا بعد سقوط حائط برلين، بل رموزُ البلاد هم من أُحيلوا إلى المحاكمة؛ وهذا أمر طبيعيّ».

تابع قائلاً: «أمّا الدولةُ اللبنانيّة فعاقبت شعبها مرّتين: الأولى عندما تخلّت، بموجب اتفاق القاهرة في العام ١٩٦٩ عن سيادتها ومسؤوليّاتها الانمائيّة والأمنيّة في الجنوب، والثانية عندما تحاكمهم لأنّهم تأقلموا مع الأمر الواقع. من هنا أهميّةُ إصدار عفو عنهم. هناك عملاء للموسّاد وأدوات أساسيّة لاسرائيل عام ١٩٧٥ تحدّثت الصحفُ العالميّة عن تورّطهم في مجازرَ على الساحة اللبنانيّة، وأُعفي عنهم، وتمّ تعيينُهم وزراءَ ومنحناهم أوسمة. إنّ الدولة اللبنانيّة هي مقصّرةٌ تجاه هؤلاء الشباب. وأتساءل كيف يمكن أن تمنع عنهم العفو الذي أعتبره واجباً أكثر ممّا هو حقّ يجب أن تمنحهم إيّاه الدولة. إنّنا نعيش ظلماً لم يَعرفه أيّ شعب. وهذا الواقع يدفع بعضهم إلى الهجرة مرغماً. نحتاج إلى بلسمة الجراح، وطيِّ صفحة الحرب نهائيّاً. وأنا سأعمل على إزالة هذا الظلم لنصالحَ أهلَ الجنوب مع وطنهم لبنان من جهة، ونصالحَ اللبنانيين مع بعضهم بعض انطلاقاً من الجنوب».

وسئل: مَتى يستطيع السياسيّون في لبنان أخذ **مبادرة البطريرك صفير**»؟ أجاب: «أعتقد أنّه أصبح لدى السياسيين في لبنان الجرأة للتعبير عن آرائهم، فيما كانت محصورةً بالمسيحيين فقط».

وعن تقويمه الوضع في **فلسطين** ورأيه في إمكان إقامة تسوية وسلام في المنطقة، قال: «أقدّر، في الأمد المتوسّط، لا بدّ أن تحصل تسوية بين إسرائيل وفلسطين. لا بدّ أن تعود الحرارة على الخطّ الفلسطيني–الاسرائيلي، لأنّ الوسيط الأميركيّ توصّل إلى تحقيق تقدّم ملموس في هذا الاطار. ولا شكّ في أنّ الإشكال الذي عرفته الانتخاباتُ الرئاسيّة ساهم ربّما في تأخير

هذه العمليّة. إنّما، على الأمد الطويل، فلديّ تساؤل حول إمكان حصول تعايش حقيقيّ وسلميّ واستقرار أمنيّ بين الكيانين الاسرائيليّ والفلسطينيّ، إذ إنّ ثمّة تناقضاتٍ عدّةً في هذا المجال».

من جهة أخرى، نفى الجميّل أن تكون هناك تحضيرات لزيارة قريبة إلى **سوريا**، ولكنْ مبدياً استعدادَه للحوار؛ وممّا قاله: «هاجسنا استقلال لبنان وحرّية شعبه، ولا أعتقد أنّ من يطالب باستقلال لبنان وسيادته يكون ضدّ سوريا. وبقدر ما تتفهم سوريا هذا الأمر لا يكون هناك مشكلة. أنا مع الحوار مع سوريا. فثمّة مصلحة وطنيّة ملحّة بأن يكون هناك حوار على مختلف الصعد بين البلدين، وضمن الأطر التي تجسّد أحسن العلاقات بينهما».

وعمّا إذا كان يعرف من قتل الرئيس **بشير الجميّل**، قال: «ليس سرّاً أنّه الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ. وأقول ذلك انطلاقاً من أدلّة موجودة باعتباري محامياً. وأنا لم أكن لأعطيَ هذه المعلومات وهذا الجواب لو لم استند على وقائعَ حسيّة، وهي اعترافات حبيب الشرتوني الذي أكّد أنّه تصرّف بإيعاز من مسؤول في الحزب، علماً أنّ الحزب يقول إنّ عمله فرديّ. وأوّل عمل قام به فريق من الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ، لدى دخول الجيش السوريّ إلى جبل لبنان بعد حوادث ١٣ تشرين الأوّل ١٩٩٠، هو تحرير الشرتونيّ من سجن روميه، والذي عقد مؤتمراً صحافيّاً وروى خلاله العمليّة التي نفّذها مشدّداً على فخره واعتزازه بما قام به».

مسمار جحا

وتوقّف الجميّل عند قضيّتي عدم **إرسال الجيش إلى الجنوب** ومزارع شبعا قائلاً: «إنّ الفلسفة التي يتبنّاها بعض المسؤولين اليوم هي عبثيّة. أمّا قضيّة مزارع شبعا فإنّها تدخل ضمن المأساة اللبنانيّة وهذا ما يمكن أن نصفه بقصّة «مسمار جحا». وقد أجريتُ اتصالات مع الأمم المتّحدة والسفراء المعنيين الذين طالبوا الدولةَ اللبنانيّةَ بتقديم خرائط ثبوتيّة لملكيّة لبنان لتلك المزارع. والأمم المتّحدة أبدت رغبتها ف المساعدة، ولا سيّما عبر ترسيم الحدود، علماً أنّه من المهمّ أن يكون ثمّة نيّة طيّبة لدى لبنان وسوريا في تحقيق هذه المبادرة.

من المؤسف أنّنا ندفع ثمن مصادرة القرار اللبنانيّ، وأتمنّى أن نصل إلى حوار حقيقيّ حول قضية الجنوب وملفّه في العموم. هذا الحوار يضمّ لبنان وسوريا والأحزاب والهيئات المعنيّة، على أن يعتمد على الموضوعيّة والشفافية لنصل إلى نتيجة».

ورأى الجميّل: «أنّ السواد الأعظم من اللبنانيين، مسلمين ومسيحيين، يتوافقون على معظم القضايا المطروحة، ولكن لسوء الحظّ ثمّة ضغوطات على المجتمع اللبنانيّ، ونحن نعيش في **مجتمع مخابراتيّ** لا يستطيع فيه المرء أن يعبّر بحريّة عن أفكاره وآرائه».

ودعا أخيراً إلى «التشبّث بالجذور، لأنّنا «لن نترك المنطقة، سنواجه الصعاب، ولدينا إيمان كبير بوطننا، وعلينا أن نضع حدّاً لمنطق الاحباط واليأس».

برّي المؤمن بدور الطالب في التغيير:

- فقدان الحركة الطالبيّة التي عرفناها دليلٌ على حال مَرضيّة في الوطن اليوم.
- علينا أن نحقّق التفاعلَ الطبيعيّ بين طلاّب لبنان، والحوارُ هو المدخل.
- ثمّة ضرورة لتفعيل الحياة السياسيّة والحزبيّة لإعادة الأمور إلى نصابها.
- الطائفيّة هي الأفعى التي فرّقت وأثارت الحروب، وعلى الأحزاب أن تنفتح على الآخر.

الحركة الطالبيّة الجامعيّة هي اليوم تحت المجهر. الأنظارُ إليها وعليها، والقلوبُ لها ومعها...؛ ونراها تتكوّن، ولكنْ بخطىً وئيدة ومتعثّرة، ليس لأسبابٍ ذاتيّة فحسب، بل لأخرى أيضاً هي من مآسي ما على الوطن وفيه.

إنّ لبنان الذي يعاني أزمة قياديّة، على المستوى العامّ، وعموماً، نتطلّع له إلى قيادات بكر في أرحام الجامعات، نقرأ بشائرها على جبين الأيّام الآتيات...

المهمّ أن نكون لها الحضنَ والصدر، وهي تعرفُ كيف تأخذُ طريقَها إلى الحياة، بقوّة الحياة!

أحياناً كثيرة، نرشق طلاّبَنا الشباب باتّهامات شتّى، ناسين أو متناسين ما جنيناه عليهم، عندما لم نُحسن إدارة شؤون الوطن، فنبنيه على قواعدَ متينة ونحصّنُه دون الرياح الزعازع. أليسوا ضحيّتَنا، كما كنّا ضحيّةَ أنفسنا، فنكفّرَ ونعوّض؟!

إنّها لَمسؤوليّةٌ جليلةٌ جداً هذه الموكولةُ إلينا تجاه جامعيينا، أن نكونَ إلى جانبهم في عمليّة بناء ذواتهم والتعبيرِ عنها، بل لأْمِ جراحِها من حربٍ مشوِّهةٍ مشوِّشة لا يدَ لهم فيها ولا حوْل...

والملفّ الذي نفتتح على صفحات الـ *NDU Spirit* إنّ هو إلاّ مساهمةٌ إضافيّة في عمليّة التلازم الواجبة ما بين المصارحة والمصالحة للخروج من دوّامة الانحطاط صوب ميادين النهوضِ الحقيقيّ الذي يليق بمكانة لبنانَ ودورِه على خريطة الحضارة الانسانيّة.

فنحن نريد أن يَعتبر شبابُنا الطلاّب بتجارب مَن سبقوهم في مضمار النضال الطالبيّ، وأن يستذكرَ من هم في سدّة المسؤوليّة، وكانوا يوماً في صفوف الحركَة الطالبيّة، ما عانوه وبذلوه في سبيل مطالبهم وتطلّعاتهم، علّهم يرون في مرآة الحاضر صوراً من ذاكرة الماضي، فيُعينون على جلاء الحقائق وتحقيق الرغائب...

إنّه التواصلُ ما بين الأمس واليوم ما هو منشودٌ. وكلُّ محاولة، في هذا السبيل، محمودةٌ!

بلى. لا زالت الحركة الطالبيّة، في الستّينات، ماثلةً ببرامجها ورموزها، وقد أفرزت الاتّحادَ الوطنيّ للطلاّب الجامعيين، الذي كانت له نضالاتٌ مشهودة، سجّلتها الصحافةُ في صفحاتها الأولى وعناوينها الكبرى بأحرف من نور، وهي حركةٌ تلازمت مع حالة تنويريّة غمرت بيروت وشعّت في آفاق مشرقنا العربيّ...

من يومها، والتغييرُ يراودُ الأحلام!

رئيسُ مجلس النوّاب الأستاذ نبيه برّي كان في طليعة روّاد الحركة، وتسلّم رئاسةَ الاتّحاد في العام ١٩٦٣. ومعه وبه نفتتح الملفّ.

ففي مكتبه، في ساحة النجمة، كانت لنا معه جلسةٌ استعاديّة، تذكّر فيها نبيه برّي الشابَ الجامعيّ المناضلَ الثائر المشاغب... ثمّ لكأنّ الحنينَ أنساه أنّه الرئيسُ برّي الذي يحلّ ويربط بمطرقته في المجلس وخارجه، فراح يتصفّح أوراقَ الماضي بابتسامة عريضة تنمّ عن ودّ صادق يُسقط بعضَ ما قد ينتابنا من أوهام حول مَن في السلطة، فإذا نحن وجهاً لوجه أمام الانسان.. الانسان الذي كمثلنا!

أُصغي إلى الأسئلة بإمعان، وأبدي تفهّماً لكلّ ما يُقال ويتردّد.. ويُقرأ بين السطور.

نبيه برّي الرئيس أمضى حوالى الساعة ونصف الساعة يقصّ حلمه عن الاتّحاد، ولا سيّما لتعزيز الجامعة اللبنانيّة وتوطيد كتاب التاريخ وما إليه.

نبيه برّي الرئيس الذي أكمل مشوار الامام المغيّب موسى الصدر على رأس حركة أمل ورجلُ القانون والتشريع، إنّما هو **يؤمن** إلى اليوم **بدور الطالب في التغيير**. قرأ العِبَر التي عايشها لحظةً لحظة، ولا سيّما اللقاء الأوّل مع الياس سركيس الشهابيّ الذي أصبح رئيساً للجمهوريّة، وصولاً إلى نصائح اللواء سامي الخطيب التي رفضها رفضاً قاطعاً.

في بداية حديثه، أبدى ترحيباً لافتاً بصحافيي الغد الذين تسلّحوا بورقة وقلم... وبعض الحشريّة ليتعرّفوا على الوجه الآخر لنبيه برّي الشاب المشاغب، كما وصف نفسَه وهو يضحك.

لنبيه برّي الجامعيّ بصمة لافتة في العمل ضمن الحركة الطالبيّة، والتي يرى فيها الاطار الوحيد لجمع شمل اللبنانيين.

يقول: «**إنّ ذكريات الحركة الطالبيّة جميلة**، ليس على المستوى الشخصيّ فحسب، بل على المستوى الوطنيّ في العموم. كان لدينا مقرّ رئيسيّ في منطقة الأشرفيّة، وفيه ترأّستُ الاتّحاد الوطنيّ للطلاّب الجامعيين في لبنان في العام ١٩٦٣. وقد كان منتخباً من ممثّلي الجامعة اللبنانيّة والجامعات الخاصّة. ولذا كان عليّ أن أترأّس أوّلاً رابطة الحقوق والعلوم السياسيّة في الجامعة اللبنانيّة لأصبحَ بالتّالي مندوبَ الكليّة لدى اتّحاد الجامعة اللبنانيّة فأعمل للوصول إلى الرئاسة».

تابع الرئيس برّي قائلاً: «إنّ فقدان الحركة الطالبيّة التي عرفناها إنّما هو اليوم دليل حال مرضيّة في الوطن، وليست على الإطلاق دليل عافية. لنعد إلى أيّام النضال. نلت رئاسة الاتحاد هذه بعد أن عملت على نيل التأييد من الجامعات الخاصّة والجامعة

الوطنيّة، عبر حملة انتخابيّة عمل فيها إلى جانبي القاضي نصري لحّود الذي يشغل اليوم منصب مفوّض الحكومة لدى المحكمة العسكريّة. وأشير هنا إلى أنّ معظم الجامعات المشاركة في الاتّحاد هي الموجودة الآن، مع فارق أنّها لم تكن تضمّ عدد الكلّيات الذي نضمّه اليوم. على سبيل المثال نلت دعم ٦ كليات من أصل ٩ في الجامعة اليسوعيّة. وهكذا دواليك».

أمّا برنامج عمل الاتحاد فلخّصه الرئيس برّي بأنّه «اعتمد أوّلاً على تفعيل مشاركة لبنان في اتّحاد الطلاّب الوطنيين في العالم، والذي كان موالياً لأميركا وأوروبا، ثمّ انتسابه إلى الاتّحاد العالميّ العامّ للطلبة، والذي كان موالياً للمعسكر الشيوعيّ. وقد نجحنا في هذه الخطوة التي أدّت إلى تمثيل لبنان في مؤتمر انعقد في هولندا حيث نجحنا في تبوّء منصب إداريّ مع دولتين أخريين، أذكر منهما البرازيل، لادارة الاتّحادات العالميّة».

أمّا البرنامج فاشتمل على شقّين داخليّ وخارجيّ. كنّا على يقين بضرورة تعزيز الجامعة اللبنانيّة. وعندي أنّ كلمة «جامعة» تعني مجموعة طلاّب وأساتذة يتفاعلون مع بعضهم بعض. انطلاقاً من ذلك قرّرنا أن نطالب ببناء جامعيّ في منطقة الحدث الشويفات، وأردنا رصد موازنة له بقيمة ٢٠ مليون ليرة، مع الإصرار على استعجال وضع الحجر الأساس.

أمّا المطلب الداخليّ الثاني فكان تطوير الاتحاد على أمل تأسيس نقابة طالبيّة تتجاوز الطائفيّة. وبلغ بنا الحلم إلى فكرة إطلاق نقابة طالبيّة عربيّة، لها تأثير مباشر على العرب».

أمّا الصعوباتُ التي اعترضت تعزيز الجامعة الوطنيّة وإطلاق مشروع البناء فيتذكّر بعضاً منها بفرح قائلاً: «كنّا نعيش في زمن الرئيس فؤاد شهاب، وقد رأى البعض أنّ مضمون مطالبنا له منحى سياسيّ يصبّ في خانة رفض التجديد لشهاب، وهذا خطأ كبير، لأنّني لم أكن في حينه ملتزماً. لذلك، جلت على بعض الفاعليّات الحزبيّة والسياسيّة، بحثاً عن تأييد لبرنامجي. لقائي مع رئيس مجلس النوّاب لم يعط الثمرة المرجوّة، بل كان دون جدوى. فدعوت إلى اضراب مبرمج ويتصاعد حتّى الدعوة إلى إضراب مفتوح إلى أن تتحقّق المطالب وتُقَرّ في مجلس الوزراء».

تابع قائلاً: «عندما رفض المجلس التصديق على قرارنا هذا، قمتُ بزيارة، مع عميد الكليّة آنذاك بطرس ديب، لكلٍّ من رئيس حزب الكتائب الشيخ بيار الجميّل والرئيس كميل شمعون، ورئيس الحزب الاشتراكيّ كمال جنبلاط ورئيس حزب النجّادة عدنا الحكيم، فوافق الجميع على قراري. وأذكر أنّني وصلت إلى دارة

الشيخ بيار ودخلت عليه في غفلة منه فرأيته يمارس الرياضة، فقال لي: من «أين أنت»؟ أجبته: «من الجنوب» فقال: «أهل الجنوب دراويش وأوادم». «فما كان منّي إلاّ أنّ قلتُ له: «بينما أنتم تتقاتلون في بيروت، كنّا نحن نستفيد من حبّنا للحياة، ونتمنّى أن نبقى «دراويش». وللحال أوقف رياضته، ثمّ اصطحبني إلى عند الرئيس شهاب، في مقرّه في صربا، علّني أتحدّث معه عن مشروع بناء الجامعة، ففوجئتُ بدخول شاب يُدعى الياس سركيس، الذي أصبح رئيساً للجمهوريّة، يقول لي إنّ الكلام الذي نقوله هو ضدّ الرئيس شهاب، ونصحني أن أعزف عمّا أقول. غضبت كثيراً لأنّني لم أقابل الرئيس، وأردت أن أعودَ أدراجي من دون تردّد».

تابع الرئيس برّي: «لم يتوقّف الأمر عند ذلك، بل تعدّاه إلى بعض المضايقات من بعض عناصر الشعبة الثانية. وقد جاءت إلى الجامعة بسيارة مسؤول عسكريّ قيل لي إنّه حضر لمقابلتي، فما كان أمامي إلاّ اللواء سامي الخطيب الذي حاول أن ينصحني بضرورة الابتعاد عن المشاكل، بل هدّدني بنبرة صارمة، فما كان عليّ إلاّ أن أهدّد على طريقتي. وهكذا، بين مدّ وجزر وأخذ وردّ، تحقّقت المطالب المرجوّة، فشكرت المعنيين في لقاء تلفزيونيّ وعلى رأسهم رئيسُ السلطة، وشكّل وضع الحجر الأساس في الحدث صوتاً مهمّاً لنا».

أمّا خطوة تنظيم نقابة طالبيّة، فيرى برّي أنّها «خطوة تساعد على تطوير عمل الاتحاد على أمل أن تصبح نقابة» تُوفي بنا إلى بُعد عربي له تأثيره على قرار المحيط في العموم. فتوجّهتُ، مع أمين سرّ الاتحاد أنطوان مزهر إلى العراق ومصر، وتوزّع الآخرون على البلدان الأخرى، سعياً إلى تنظيم ندوة طالبيّة عربيّة، انعقدت في فندق الكونفورت في الحازميّة. ولكنّ الخلافات بين البعث العراقيّ والبعث السوريّ حالت دون اتّخاذ قرارات حول هذه النقابة، علماً أنّنا قرّرنا متابعة الجهود لنصل إلى الحلول المرجوّة.

ونشير أخيراً أنّه كان لدينا مساعٍ عدّة لتغيير البرامج التعليميّة، على أمل أن ننجح في توحيد كتاب التاريخ وإطلاق كتاب التربية الوطنيّة في المدارس اللبنانيّة كلّها».

من جهة أخرى، توقّف برّي عند الاطار العالميّ الذي عملت فيه الحركة الطالبيّة. وممّا قاله: «طرحنا الموضوع مع وزارة الشؤون الاجتماعيّة وعدد من الرهبان حول أهميّة تحديد دور الطالب في الاقتصاد. من هنا، أعددنا دراسةً، صدرت في كتاب، عن نتائج البحث الذي يؤكّد أن التجدّد العلميّ يتكامل مع سوق العمل ومتطلّباته وهذا ما ينطبق على ما نعيشه اليوم.

ورداً على سؤال عمّا إذا كانت الحال اليوم تعيق إنعاش دور الحركة الطالبيّة، قال: «**ثمّة ضرورة لتفعيل الحياة السياسيّة والحزبيّة لإعادة الأمور إلى نصابها. علينا أن نحقّق التفاعل الحقيقيّ بين طلاّب لبنان. ولا شكّ في أنّ الحوار هو مدخل إلى إحياء الحركة الطالبيّة.**

ويهمّني أن أشدّد على خطر الطائفيّة في لبنان، والذي يبعد المواطنين بعضهم عن بعض. عندما دعوت، في إحدى المناسبات الخطابيّة، إلى استحداث المجلس الاقتصاديّ والاجتماعيّ والهيئة الوطنيّة لإلغاء الطائفيّة كانت ردّاتُ فعل من شخصيّات مسلمة ومقامات مسيحيّة تمنّت عليّ عدم إثارة الموضوع».

ختم قائلاً: «**إنّ الطائفيّة هي الأفعى اللاّذعة التي فرّقت الجميع، وأثارت الحروب** في الأعوام الماضية: ١٨٦٠ و١٩٢٠ و١٩٥٢ و١٩٥٨ و١٩٧٥. والحقيقة تقال، في نهاية اللقاء، **أنّ الحال التي نعيشها، وهي غير مُرضية، هي مسؤوليّةٌ يتقاسمُ نتائجَها المواطنُ والمسؤول. أمّا الأحزاب فأتمنّى ألاّ تبقى متقوقعةً ضمن الطوائف، لا بل عليها أن تنفتح على الآخر.**

وأذكر هنا أنّ ميثاق حركة أمل وقّعه شخصيّات مسيحيّة عدّة، منها الوزير والصحافيّ غسّان تويني والوزير بيار حلو وسواهما. من هنا ثمّة حاجة ماسّة إلى أن نعي ما أوصانا به الإمام موسى الصدر، وهو أنّ المقاومة هي الوحدة الوطنيّة، وهذا سرّ نجاحها. نحن، شباب الأمس، كنّا نتظاهر لقضايا العرب؛ ومنها ما كان يحصل في الجزائر وسواها. ولكن، مع الأسف، إنّهم لم يبادروا بأيٍّ من التحرّكات التي قمنا بها، يوم كان لبنان في حال حرب ودمار. بعد ٣٧ عاماً أردّد ما قلته في الماضي: إنّني أؤمن أنّ للشعب العربيّ قدرةً على التغيير، إذا وعى المسؤوليّة المعطاة له؛ وهذا ما نطمح إليه».

كتبه: روزيت فاضل
شارك في اللقاء: روزيت فاضل، رويدا الخازن، سمر شدياق، نيكول طعمه، زينة عيسى، رياض قبيسي، بسّام سركيس
تصوير: جوزيف شرتوني

نوّاب شباب... وشباب

تشهد الندوة البرلمانيّة مشاركة شبابيّة يتطلّع إليها الرأي اللبنانيّ العامّ بشيء من التفاؤل في العموم. ومن الملاحظ أنّ «نوّاب برلمان ٢٠٠٠» يحاولون، عبر طرح المشاريع، أن يجسّدوا بعضَ الأحلام المتكسّرة التي عرفها جيل الأمس القريب، وبعضاً من أحلام الغد التي تقلق جيل اليوم.

إيماناً منّا بدور الشباب في صناعة القرار والوطن، نبدأ، في هذا العدد، الحلقةَ الأولى من سلسلة: «نوّاب شباب... وشباب» نسلّط الضوء، عبرها، على أفكار النوّاب الجدد وتطلّعاتهم، آملين في أن تكون الاجابات شفّافة صادقة ومسؤولة عن الأسئلة التي طرحناها، وتشتمل على النقاط الآتية:

١- كيف تفهم «التغيير»؟

٢- في سبيل هذا «التغيير المنشود»، ماذا يمكن أن تفعل، وكيف؟

٣- وإذا كان التعليم والتربية في أساس التغيير، فما الذي تقترحه على صعيدي المدارس والجامعات؟ وما الدور الذي يمكن أن تضطلع به، وإلى أيّ مدى؟

٤- وهل أنت، إذا ما طُوّقت طروحاتُك ومساعيك، على استعداد للالتحام مع الشباب في عمليّة نضاليّة مفتوحة على شتّى الاحتمالات؟

٥- وما رأيك في ما يثيره الشباب اليوم من قضايا، وما ينهجون من أساليب تعبير وعمل؟

وهنا أبرز ما جاء في اللقاء مع كلّ من نائب كسروان جبيل المحامي الشيخ فريد هيكل الخازن ونائب بيروت الدكتور باسم يموّت.

الشيخ الخــازن

فريد الذي انتُخب أمين سرّ المجلس النيابيّ، وكان منكبّاً على تحصيل شهادة في الدراسات العليا في العلاقات الدوليّة والدبلوماسيّة، أخذ السياسة عن والده المرحوم هيكل وعمّه النائب السابق رشيد التزاماً وديناميّةً وانفتاحاً، هو اليوم يطرح مع زملائه مشاريع عدّة، منها: تخفيض سنّ الاقتراع إلى ١٨ عاماً، وإلغاء التجنيد الاجباريّ وابداله بالخدمة المدنيّة. الخازن ابن الـ٣٠ عاماً الذي منحه ناخبوه ثقةً كبيرة أحلّته المرتبة الأولى في انتخابات ٢٠٠٠، إنّما هو يؤمن بأنّ الحال السياسيّة المتردّية يجب أن لا تستمرّ، ويدعو بقوّة إلى مشاركة الشباب في الحياة السياسيّة العامّة. وقد بسط إجاباته عن الأسئلة على الشكل الآتي:

١- يبدأ التغيير عبر تطوير بعض القوانين والأنظمة التي تعيق حسن سير الأمور. ولا شكّ في أن تطوّر القوانين والأنظمة السياسيّة يساعد على تفعيل دور الديموقراطيّة، النظام الأمثل لتحقيق التغيير المنشود. ولا ننس أنّ للانتخابات النيابيّة دوراً فاعلاً في «صناعة» التغيير، لأنّ المواطن المسؤول يختار ممثّليه الذين يمكنهم فعلُ ذلك وتفعيلُه على غير صعيد.

٢- يعتمد مفهوم التعبير على قواعد نظام ديموقراطيّ يعبّر فيه الناس عن آرائهم وطموحاتهم المستقبليّة على حدّ سواء. إيماناً منّا بدور المواطن في خلق هذا التغيير، فثمّة حاجة ماسّة لدى المسؤول في لبنان أن يتفهّم مطالبة الفرد بضرورة إحداث هذا التغيير في المجتمع. ولا شكّ أنّ نشر حركة الوعي يبدأ في المؤسّسات الجامعيّة والتربويّة والثقافيّة، التي أؤمن بدورها في تأسيس الإنسان وإعطائه المعرفة التي يتطلّبها عصرنا هذا. وهذا الإعداد يُبعد قوى التقليد التي لا ترغب في الاصلاح والتغيير وبناء الدولة الحديثة. فثمّة من يستفيد من تردّي الواقع، ويهمّه أن يحافظ على مصالحه على حساب الوطن والشعب؛ وهذا ما أشرت إليه في برنامجي النيابيّ.

أمّا سبل تفعيل هذا التغيير فهي أكثر من أن تحصى، وقد فصّلتها في هذا البرنامج، وأذكر منها: صون الحرّيات الإعلاميّة، وحرّية التعبير والرأي، وتعميم المساواة بين المناطق كلّها، وتوسيع دائرة التنمية في لبنان كلّه وعلى مختلف الصعد البيئيّة والاقتصاديّة الصناعيّة والصحيّة، على أمل إقرار نظام يشجّع المواهب ويضع حدّاً لهجرة الأدمغة والكفاءات. ولا يتوقّف الأمر على ذلك، بل يضمّ عناصرَ عدّة منها: رفع مستوى الأجور والرواتب، وتعزيز العملة الوطنيّة واستقرارها. وفي اختصار، ثمّة ضرورة ماسّة لحلّ مشاكل المجتمع وتناقضاته الكثيرة في إطار القانون وعلى أسس المصلحة الوطنيّة العليا ووحدة البلاد بعيداً عن القمع والملاحقات. وإنّنا نطالب باقرار عفو عن كثير من الأفعال والتصرّفات الماضية.

٣- من المؤكّد أنّ التعليم والتربية هما حجر أساس في التغيير، ولكن علينا أن ندرك الدور الأساسيّ الذي يقع على عاتق مؤسّسات المجتمع المدنيّ ومنها الأحزاب والنقابات وسواها. ونشير هنا إلى أنّ الجامعات، كما هي اليوم، تفتقر إلى الآليّة المطلوبة للضغط على النظام والمطالبة بالحقوق المنشودة لشعبنا، علماً أنّنا نطمح إلى إحياء الاتّحادات الطالبيّة في الجامعة الوطنيّة والجامعات الخاصّة، ولا سيّما عبر خلق آفاق التحرّك العمليّة، بعيداً عن اللغط الذي نعرفه في العموم. كما لا يمكننا أن نتغاضى عن دور الأساتذة والاداريّين في خلق حركة التغيير، على أمل أن نبعد عنها الواقع القاصر، والذي يمنع تلبية الحاجات المنشودة لدى الناس.

٤- لا شكّ أنّني أؤمن بضرورة طرح مسائل عدّة، قد يكون بعضها خارج إطار قناعة أصحاب القرار. ورغم ذلك من الضروريّ المضي في مطالبة المسؤولين بضرورة التغيير عبر السعي، وكما ذكرت في برنامجي الانتخابيّ، لتشكيل كتلة نيابيّة تؤمن بالتغيير والاصلاح من جهة، وتشكيل القوّة اللازمة في الصراع عبر وسائل الديموقراطيّة من جهة أخرى.

٥- أرى أنّ الشباب يطرحون قضاياهم، وهي محقّة دون شكّ، ولكن ينقصها المناخ المؤاتي لتحقيقها. أمّا أنا فلا أعترض على وسيلة التعبير، لأنّني أؤيّد الأساليب كلّها، ومنها حقّ التظاهر والتعبير، قولاً وكتابةً، لأنّها تحقّق الغاية المنشودة لدى الشباب. ولكنْ ينقصنا حركة تنظيميّة تبدأ بتوحيد الحركة الطالبيّة، وتنطلق من برنامج عمليّ تفصيليّ يُخرج لبنان من أزمته، ويعيد إليه القيم والأخلاق والشفافية في مناخ حرّية وديموقراطيّة، لأنّ المستقبل هو من صنع أيدينا، وهذا ما نطمح إليه عموماً لأولادنا.

يمّوت

لم يسهب نائب بيروت الدكتور باسم يمّوت في إجاباته، ربّما لأنّ الايجاز من ميزات الأطبّاء! هو من مواليد ١٩٦١ المصيطبة. طبيب برتبة بروفسور، اختصاصيّ في أمراض الدماغ والجهاز العصبيّ سنيتساتي أوهايو، وفي أمراض العضلات من جامعة ماك غيل، ويحاضر في الجامعة الأميركيّة ببيروت ويطبّب في مستشفاها.

من النقاط التي شدّد عليها في برنامجه الانتخابيّ عن الدائرة الثانية: توحيد كتاب التاريخ، وتعزيز وحدة الفكر والوجدان، وبناء أجيال مستقبليّة ذات رؤية واحدة للتاريخ والمستقبل.

وقد أجاب عن الأسئلة بما يأتي:

«لن ألتزم بطرح الأسئلة كلّها، لأنّني أرى أنّ التغيير يبدأ في معالجة مشكلة الطائفيّة التي جعلت من لبنان وطناً يعاني تمزّقاً داخليّاً، أدّى إلى انقسامات عدّة على جميع الصعد، ومنها الاقتصاديّة والاجتماعيّة وسواها.

من الواضح أنّ ثمّة مشكلةً في لبنان تنحصر في قاعدة التفكير التي تسيطر عليها الطائفيّة. نحن نرى مثلاً أن الإصلاح الاداريّ لن يتحقّق إلاّ إذا عالجنا في العمق أسباب الطائفيّة في لبنان.

أضاف: إنّ الطائفيّة تعود في لبنان إلى أكثر من ١٥٠ عاماً. لنعد إلى صفحات التاريخ فنرى أنّ حرب ١٨٤٠ انبثقت من واقع الطائفيّة. كما أن الرأي اللبنانيّ العامّ انقسم بين مؤيّد للانتداب الفرنسيّ ورافض له، وقد اعتمد المؤيّدون والرافضون على الطائفة للتحكّم بزمام الأمور».

عن واقع الطائفيّة في لبنان: «إنّ الطائفيّة تبنى على أنّها شركة مساهمة طائفيّة، وهي العامل الأساسيّ الذي يؤدّي إلى تدخّل الدول الغربية في شؤون الوطن.

أمّا طرقُ العلاج فتعتمد على الابتعاد الكلّيّ عن التعليم الطائفيّ، بل اعتماد مفهوم التعليم الدينيّ. كما أنّ ثمّة حاجةً ماسّة لتوحيد كتاب تاريخ الذي من شأنه أن يوحّد الجميع. ولكن، هناك خوف شديد لدى بعض الأقليّات من إلغاء الطائفيّة السياسيّة؛ فهذه الخطوة تخيفها.

ختم قائلاً: «من المهم أن نعي أهميّة تنظيم اجتماعات شبابيّة أسبوعيّة لدراسة مشروع يَعتمد على اللاطائفيّة، وفيه نظام ديموقراطيّ ومؤسّساتيّ. إنّ تيّار التغيير يفرض نفسه لأنّه يؤدّي إلى ولادة قوى سياسيّة تحدث هذه المعادلة».

من ناحية أخرى، توقّف يمّوت عند أبرز نقاط برنامجه الانتخابيّ، والذي يلتزم به كلّياً – كما قال، وأهمّ ما ورد فيه: تعزيز الوفاق الوطنيّ، وإلغاء الطائفيّة السياسيّة، وبناء نظام ديموقراطيّ حديث يقوم على مبادئ الحرّية والعدالة والمساواة، وتوحيد كتاب التاريخ، وإصلاح الادارة، وتبسيط المعاملات، وتسهيل الاجراءات، واعتماد المكننة العصريّة. كما ركّز البرنامج على تفعيل دور بلديّة بيروت، فضلاً عن العمل على إقرار نظام ضمان الشيخوخة وصولاً إلى تعزيز التعليم الرسميّ والمهنيّ والتقنيّ ولا سيّما عبر:

إقرار التعليم الالزاميّ المجّانيّ، وتأمين البناء المدرسيّ اللائق له ولمختلف مستويات التعليم المدرسيّ الرسميّ.

والاسراع في انجاز المدينة الجامعيّة، بحيث تضمّ جميع الكليّات، النظريّة منها والتطبيقيّة، ممّا يؤدّي إلى إعادة توحيد الجامعة.

وتعزيز الهيئة التعليميّة، وتأمين جميع الامكانات التي تساعد على تفعيل دور الأستاذ، بهدف الارتقاء بقدراته إلى أعلى المستويات، ورفع مستوى التعليم والبحث الجامعيين.

والتوسع والارتقاء في سياسة تعزيز التعليم المهنيّ والتقنيّ، بفتح مدارس ومؤسّسات مهنيّة رسميّة جديدة وسواها.

روزيت فاضل
رويدا الخازن

«شرر» و «نحت في الضوء»

ديوانان لسعيد عقل من منشورات جامعة سيّدة اللويزة وفيهما كَتَبَ أمين الريحانيّ ومنيف موسى

يستلّ من الفجر بهاء الشعر

أمين ألبرت الريحانيّ

إزميله يَنحتُ في المُفردات، ويراعُه يُعيدُ صياغةَ التراكيب، وأناملُه تضيء اللغةَ بعد أن تصيبَ منها جلالاً. سرُّه أنه يُنازلُ اللغةَ في ساح الكلمة. وإذ بالفارس يُسمِعُكَ صهيلَ صمته كما صهيل أرجوانه. يُبادرُكَ بالقصيدة البكر فيلوح لكَ من بعيد أنّكَ أمام غابة من نبت الشعر المُضمَّخ ببخورِ مريم. وكلَّما اقترب منكَ المعنى واتَّضح لكَ في زاوية من زواياه تَبدّى لك السحرُ الحلال والتمكُّنُ من أشكال البلاغة وصوْغ الجمال.

وإذا كان «الأدب ضياء العالم» كما يُحدِّدُه واشنطن إرفينغ أو «دُربة لفظيّة» كما يراه بول فاليري، فإنكَ تُقلِّب ظلال «نحت في الضوء» أو يبهرُكَ «شرر» طالع من كلماته حتّى إذا ما أدركتَ ثناياه أيقنتَ أنّ سعيد عقل يتألّق في مطلع الألفيّة الثالثة تألُّقَه في منتصف القرن العشرين. فهو منذ نيف وستة عقود أو سبعة يُتقِنُ حكَّ «الدربة» على «الضياء» فيتولَّدُ منه شررُ الشعر المُشعّ كما لا شررَ سواه.

لكنّ سعيد عقل، في حقيقته الشعريّة، يَحفرُ معالمَ وجهه في ظلال الكلمات التي يَقطفُها من أجل التقاط معالم الآخرين أو معالمِ الأشياء والمعاني وخلفيّات المعاني. من هنا أنّ الشعرَ عند سعيد عقل، سواءٌ كان «شرراً» أم «نحتاً في الضوء» ليس استراحةَ مُحارب، بل صولةُ الفارس المقدام الذي يبحث عن أشرس المعارك الجماليّة ليخوضَها دون تردُّد. إنّه بهذا المعنى مُمتلِئٌ بذاته، مُمتلِئٌ بنعمة الكلمة التي يُعيدُ صياغتَها كيف يشاء، ويُعيدُ تركيبَها وبناءَها فترتفعُ أنصابُه الشعريّة من خماسيةٍ مُحدثة إلى مُطوَّلةٍ تَسقي الحداثةَ من معين التراث.

ويَصِحُّ في شعر سعيد عقل قولٌ لسليم باسيلا من أنّ الكلمة «اثنتان مُمَنَّعَة ودانية، تُطالعه حيناً، وتُطعمُه حيناً، فتتصبّاه وتَتعشّقه، حتّى إذا أُمتعتْ منه مرّةً، وأسرفت عليه في الإغراء بها مرّةً... هزَّ منها أعطافَها قدّاً فقدّاً». قد يكون السرُّ في شعر «شرر» وفي شعر «نحت في الضوء» أنّ شاعرَهما يُتقِنُ معنى المعنى؛ فظلُّ الكلمة لديه أشدُّ وقعاً من الكلمة ذاتها. هكذا يورقُ الشعرُ على يراعه وتخضرُّ أغصانُه. فاللفظةُ إذا «حطَّت على قلمه» تعودُ لتطيرَ «بلبلاً رُنُما...». فلعبتُه الشعريّة تقوم على مَقدرته في أن يستلّ من الفجر بهاءَ الكلمات «يستنزف» بها «طُهرِ الورق الناصع...» حتّى يلتبسَ عليك الحدُّ الفاصل بين الشاعر وشعره: أهو الذي يُبدِع قصائدَه أم هي التي تَفيضُ فيضاً عن خالقها؟

سعيد عقل بالشعر يُكابر، وحقُّه هذا الكبرياء. و«بابتكار الكون» يُفاخر، وحقُّه هذا الفخر. فهو يُتقِن شَبْكَ الكواكب شبكاً مستحيلاً يَصعبُ أن يتكرَّر.

سعيــد عقــل

في ديوانه الجديد «شَرَر»

بقلم الدكتور منيف موسى

تَقْرأُهُ، فتسمعُ صدى رَنين قَرْعِ أكْؤُسِ الذَّهَب بأعمدةِ الشعْرِ المنحوتَة كما المَرْمرِ في قلاعِ صيدون؛ فتَهْفو إليكَ بعلبكُ، تَمدُّ يدَها لِتَمْسَحَ أنْمُلَها بماءٍ من زُرْقةِ بَحْرِنا، وتَعْرجُ لتُوقِظَ الفَجْرَ فوقَ حرمونَ.

أو، تَقْرأُهُ، فتَتَرجَّعُ في مَسْمَعَيْكَ صلواتُ «البردونيّ»، تَرْتفعُ تَراتيلُها لِتُعانقَ المجدَ الصاعدَ مِنْ «زحلةَ» في جَلالِ البُطولةِ وعظَمةِ المَهابة.

سعيد عقل، في ديوانه الجديد: «شَرَر» يَصْقُلُ ماسَةَ الشعْرِ – عَهْدَه الطويلَ في رَسْمِ الشعْرِ الصَّعْبِ – وهو يجوِّدُ الحَفْرَ في أيقونَةٍ مَشرقيَّة، يُطْلِعُ منها مُنَمْنَماتٍ حيَّةً فيها دقَّةُ التفاصيل، فإذا أنْتَ تروحُ معَهُ في تَقَرّي أُصُولِ الكتابةِ في أرْقى مُستوياتِ البِناءِ:

«أشاعِرٌ أنْتَ لَمْ يَنْبُهْ

ألا ارنُ إلى

لِعْباتِ شِعْري التي أَسْكَنْتُها القِممَا...

أنا

إذا لَفْظةٌ حطَّتْ على قلَمي

فاسمَعْ بها

عَنْهُ طارتْ

بُلبلاً رَنِما.... [قصيدة: أنا إذا لفظة].

حتَّى لكأنَّ لُعبةَ اللَّفظَةِ في بنائيَّةِ البيتِ الشِّعْريِّ – عند سعيد عقل – «شَقْعُ» حِجارةٍ في كاتدْرائيَّةٍ تُرْفَعُ مداميكُها كحبَّاتِ اللُّؤْلُؤِ المُنَضَّدَةِ في سُبْحَةِ ماسٍ، على تَناسُقٍ دَقيقٍ، فتَشفُّ الخطوطُ حتَّى تَداخُلَ النُّورِ بالظلِّ، فلا تَدْري أيُّهما الأصعَبُ في بَرْءِ الجَمالِ. فالبَدْعُ الشعْريُّ مُعادلةٌ كَوْنيَّةٌ بيْنَ النِّظامِ والخَلْقةِ السَّويَّة، وهيَ مشْدودةٌ إلى قُطْبَيْنِ: العَقْلُ في تَرْسيمِ النِّظَامِ، والعُنْفوانِ في مُلامَسةِ أعماقِ النَّفْسِ لتَكُونَ المَواجِدُ لوحاتِ شعْرٍ تَنْضَحُ حياةً. ذاكَ أنَّ الشعْرَ الشعْرَ إدْراكٌ مَعْرِفةٌ و«خَلْقٌ كما مِنْ عدَم». لذا يُحَدِّدُ سعيد عقل الشعْرَ، بقَوْله:

حَدَّدْتُهُ الشعْرَ... أنْ بالكَوْنِ شلْتُ أنا

أَوانَ بالصِّيَغِ اغْرَوْرَبْتُ والكَلِمِ

خَطَّ العِظَامِ نَهَجْتُ: الوَزْنُ صَالَ مَعي،

كما القَوافي، وَشَكُّ الأحْرُفِ الرُّنُمِ

لِسائلي: «أإلهٌ أنْتَ»؟ قلْتُ: بلى...

وريشتي الوَرْدُ هَرَّتْهُ على النُّجُمِ

إنْ رُحْتُ أُسْكِرُ؟ هذي النَّزْرُ مِنْ قيَمي

فلْيَرْوَ أنْ كُنْتُ هَمَّ السُّكْرِ والقِيَمِ...

[قصيدة: حدَّدتُه الشعْرَ]

وعلى الرَّغْمِ مِنْ قَصائدِه الطِّوالِ/البِنايات الرُّخاميَّة، في غَيْرِ كتابٍ، يأتيكَ سعيد عقل في ديوانه «شَرَر» بقصائدَ ذاتِ بَيْتَيْنِ، وكأنَّها القَلائدُ في جيدِ الزَّمَنِ، أو أَلَقُ الشعْرِ في عيْنِ

العَصْرِ. فسعيد عقل أبى أنْ يُوَدِّعَ القَرْنَ العشْرينَ إلاَّ برَصائعَ لُبنانيَّةٍ، لِيَسِمَ الزَّمانَ الطالِعَ بِمِيسَمِ الإِبداعِ والجَمالِ؛ وَهُوَ قَيِّمٌ على هذا:

«تَمُرِّينَ بي..

تَدْرينَ أنّي ابنُها العُلى

لَهُمْ باعُهُم في مجدِنا

هُمْ

ولي باعي!

بلادي

بِفَقْرٍ أَوْ غِنىً؟...

ذاكَ شأْنُها

وَلـكـن شَـأْنـي رَدُّهـا أَرْضَ

بُدَّاعِ!

[قصيدة: الإبداع شأني]

وَيَكْفيكَ مِنْ قصيدةِ «البَيْتَيْنِ» – عند سعيد عقل – في ديوانه «شَرَر»، التماعُ الخاطرِ في تَقَيُّدِ اللَّفْظ. فهوَ يقيمُ منها سُلَّمَ القاعدة الشعْريَّة، أوْ كأنَّها بَيْتُ القصيد. حَجَرُ الزَّاويةِ في مِعْماريَّةِ القصيدة. فَديوانُ «شَرَر» مَقْلَعُ جَواهِرَ شِعْريَّةٍ، والجَوْهَرةُ لا تُكَرَّرُ. فكُلُّ قَصيدَةٍ فَريدَةُ صَوْغٍ.

واللافِتُ في هذا الديوانِ، أنَّ صاحِبَهُ قَدْ وَزَّعَ أَبياتَ القَصائدِ تَوْزيعَ «القصيدةِ الحَديثة» وكأنَّهُ بهذا التوزيعِ، يُفَصِّلُ الإيقاعَ المُوسيقيَّ إلى شَكْلٍ مَقْطَعيٍّ (syllabique)، أو إلى جُمَلٍ مُوسيقيَّةٍ تُوازي التَّفاعيلَ العَرُوضيَّةَ في البُحُورِ الشِعْريَّةِ العَرَبيَّةِ الكلاسيكيَّة. وَهُوَ إذ يأْتي بهذا النَّمَطِ مِنْ كتابة القصيدةِ عنده، فَيَقيني، أَنَّهُ يَوَدُّ مَرَّةً أُخرى أنْ يُثبِتَ طَواعيَّةَ البَحْرِ الشعريِّ العَرَبيِّ الكلاسيكيِّ، كما فَعَلَ مِنْ قَبْلُ في رَوائِعِهِ: «بنت يفتاح»، و«قَدْموس»، و«المجدليَّة».

هذا الشاعِرُ، في كُلِّ عنجهيَّته الوَطنيَّة وعنفوانه الشعْريِّ والفِكْريِّ، وَقَدْ شارَفَ على التِسْعينَ، مَدَّ اللّهُ بِعُمْرِه، لا يزالُ يَرفلُ في ثوبِ يفاعٍ، وتألُّقٍ باهرٍ، على «تبادُعيَّةٍ» هِيَ دُستورُ حياتِهِ:

«تَخالُني فَتَّ فيَّ الوَهْنُ؟..

مُرَّ على

زَنْدي

وَعَرِّجْ

على مَهْوى مزايايا...

أبقى، وَلَوْ راحَتِ التِسْعُونَ تَغْمِزُني

أنا الصِّبا

مـا بَـقِـيتُ الـبَـدْعُ مَـرْمـايـا...»

[قصيدة: أنا الصبا]

سعيد عقل، الشَّاعِرُ / المُعَلِّمُ، طَـبَـعَ عَـصْـرَهُ بِـطـابَـعِ «السَّعْقَليَّة»(١)، فكانَ شاعِرَ لبنانَ وشاعِرَ العَرَبِ.

(*) صدر حديثاً عن منشورات جامعة سيّدة اللويزة، ط ١، تشرين الأوّل، ٢٠٠٠، ٣١٦ ص.

(١) كلمة منحوتة من: سعيد عقل.

(٢) في الموضوعات الشعريّة عند سعيد عقل، راجع كتابي: «الشعر العربيّ الحديث في لبنان» ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠.

– وفي نظريّته النقديّة الشعريّة، راجع كتابي: «نظريّة الشعر عند الشعراء النقّاد في الأدب العربيّ الحديث، من خليل مطران إلى بدر شاكر السيّاب»، ط ١، دار الفكر اللبنانيّ، بيروت، ١٩٨٤.

الميــلاد في الجامعــة

من أوّل الجامعة إلى آخرها، الردهاتُ والممرّاتُ والأبوابُ والنوافذ نطقتْ بالميلاد أشكالاً ألواناً من الرموز التقليديّة والمبتكرة، فإذا أنتَ في بهجةٍ غامرة، وَسْطَ رهجةٍ لا توصف...

ثمّ تتحلّق الأسرةُ حول مذبح الفادي، في قدّاس، قال فيه **الأب الرئيس بطرس طربيه** كلمةً بعنوان: «**اليوم وُلد لكم المخلّص**»، هذا نصها:

أيّها الأعزّاء،

نحتفل اليوم بالذبيحة الإلهيّة، ونحن على أبواب الميلاد ونهاية الألفيّة الثانية. نعيش مرحلةً تاريخيّة؛ وفي الذاكرة أحداثُ ألفي عام، وفي العين تطلّعٌ ميلاديّ إلى مستقبل يطغى عليه الرجاء والمحبّة.

ألم يعلنِ الملائكةُ للرعاة، بأنّه «اليومَ ولد لكم مخلّص»؟

فلقد حصل الخلاص! إذاً، يبقى علينا أن نحافظَ عليه، وأن نلتزمَ بمضمونه؛ ونحن نعلم ما في الالتزام من قهر وحرمان وضوابط تُخرجُنا من العالم وتقودُنا للعمل ضدّ تيّاراته، والعمل بعكس المقولة: «هيك كلّ الناس ماشيين، شو فيّي أعمل أنا وحدي».

لقد نبّه الحبر الأعظم إلى دورنا في نشر رسالة الخلاص هذه، عندما أعلن في رسالته «نور الشرق» بأنّ «كلّ يوم، تبزغ من الشرق، شمس الرجاء، النور الذي يعيد الحياة، إلى الجنس البشريّ». فالعالم في حاجة إلى أوكسجين يجدّد رئتيه، ويعيد إليه رجاء الميلاد، الأمرُ الذي يلقي بثقله على الجامعة ودورها الرائد في ضخّ الحياة والنور.

كلّما احتفلنا بالميلاد، تذكّرنا أقوال يسوع في الأطفال: «لمثل هؤلاء ملكوت السماوات... ومن لا يرجع كطفل فلن يدخل ملكوت السماوات». في علمنا أنّ المرأة تفرح فرحاً عظيماً يُنسيها آلامها بعد أن تضع طفلاً. أمّا في ولادة المخلّص فتغدو الفرحةُ فرحةً كونيّة، تتناول العالم الماديّ والحيوانيّ المرتبط بالإنسان بجملته، وقد عبّرت الملائكة عن ذلك عندما راحت تنشر على مسمع من الرعاة «المجد للّه في العلى، وعلى الأرض السلام، وفي الناس المسرّة».

إنّه فرحٌ كونيّ يتخطّى حدود الزمان والمكان. بل هو تحقيقُ مشروعِ خَلْقٍ جديد رديف

لمشروع الخلق المجّانيّ بحدّ ذاته. وفي المشروعين تدخُّلٌ إلهيّ مباشر وتفويضٌ للإنسان بالعمل به حتّى منتهى الدهور. ألم يقل اللّهُ، في الخلق، للناس: أنموا واكثروا وقلّدهم السلطانَ على الكون؟ ورغم سقوطه في المعصية، بقي هذا السلطان معطىً له، إنّما لم يصبح ناجزاً إلاّ مع مجيء المخلّص الذي جدّد هذا السلطان معطياً إيّاه كلّ أبعاده الروحيّة بقوله لتلاميذه: «لكم أعطي كلّ سلطان، فما حللتموه على الأرض يكون محلولاً في السماء، وما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً في السماء»، ممّا يؤكّد مجدّداً أنّ المسؤوليّة الأساسيّة الملقاة على عاتق الإنسان تشمل المنظور وغير المنظور، الجسديَّ والروحيّ معاً.

مع ولادة الطفل الإلهيّ، نولد من جديد، ليس بالمفهوم البشريّ والماديّ، ولكن بالمفهوم الروحيّ؛ هذا ما أوضحه يسوع لنيقوديموس حين قال له: «ما من أحد يمكنه أن يرى ملكوت اللّه إلاّ إذا وُلد من عُلوّ» (يوحنّا ٣). فالولادةُ، أيّةُ ولادة، تتطلّب العناية كي تنموَ بسلامة، فالجسدُ يحتاج الغذاء الماديّ، أمّا غذاء الروح والولادة الجديدة فتتطلّب الإيمان والرجاء والمحبّة، وممارسة الأسرار والصلوات الطقسيّة والفرديّة والتقشّف والتخلّي عن العادات الرديئة والإنسان القديم؛ وفي هذا السياق، قال رسول الأمم: «أناشدكم إذاً، أنا السجين في الربّ، أن تسيروا سيرة تليق بالدعوة التي دُعيتم إليها، سيرة ملؤها التواضعُ والوداعة والصبر محتملين بعضُكم بعضاً في المحبّة، مجتهدين في المحافظة على وحدة الروح برباط السلام» (غلاطية ١٥). وبقدر ما ننمو بالمحبّة بالقدر نفسه نكون أقوياء بالروح، لأنّ المحبّة هي كمال الشريعة، «فإذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضُكم بعضاً فاحذروا أن يُفنيَ بعضُكم بعضاً» (غلاطية ٥/١٣-٢٦).

إنّ مقياس ولادتنا الجديدة هو المحبّة. ليس المحبّة الضيّقة، القبليّة والعشائريّة والحزبيّة) إنّما المحبّة المشرعّة الحدود، المنفتحة على الآخر، مهما كانت أوصافه وأخلاقه وتصرّفاته، وإلاّ كنّا كالخطأة والعشّارين، يحبّون من يحبّهم ويماشيهم في آرائهم وطروحاتهم؛ فهذه ليست المحبّة. المحبّة تُدخلُنا في علاقة حميمة مع الثالوث، لأنّ اللّه محبّة. وهي تُدخلُنا في عمليّة حوارٍ حقيقيّ وبنّاء، يعيد إلى مجتمعنا قيمته الحضاريّة، ويرسّخ صورتَه النبويّة التي نوّه بها الحبر الأعظم في الإرشاد الرسوليّ بقوله: «لبنان هو أكثر من وطن، إنّه رسالة». بهذه الرؤيا، دعتنا الكنيسة لنعيشَ عنصرة اليوبيل، ونُنَقيَ ذاكرتَنا التاريخيّة، فنقرّ بأخطائنا، جماعات وأفراداً، مستخلصين العبرَ، ومجاهدين للدخول في ذهنيّة جديدة، قوامُها التجدّدُ الباطنيّ حسبَ قول مار بولس: «تبدّلوا بتجديد ذهنيّتكم لتميّزوا ما هي مشيئةُ اللّه وما هو صالح، وما هو مُرض وما هو كامل» (روم ١٢/٢). وهذا ما شدّد عليه الإرشاد الرسوليّ أيضاً بقوله: «ما يجب تعزيزه أكثر من أيّ تنظيم جديد، إنّما هو ذهنيّةٌ جديدة... التي هي التزامٌ صريح بالتجدّد الباطن وتشريع النفوس على أبعاد محبّة المسيح» (٩/٩) فالديماغوجيّة ليس فيها شيء من المسيحيّة، بل هي أوّلُ طلقة رصاص عليها، أوّلُ من يساهم في ذبحها. إنّ أيّ شخص، مهما كان معتقده الدينيّ، يلتزم بالسير بمنطق المحبّة والحوار، هو أقربُ إلى المسيح من الذي يحمل اسمه ويستعمل أدواتٍ غيرَ أدواته.

أيّها الأحبّاء،

من جوّ المزود، من وحي الميلاد، أتطلّع إليكم، في الجامعة، أساتذةً وموظّفين وطلاّباً، من خلال ثلاث زوايا:

١- زاوية الوداعة والتواضع: يسوع، ابن اللّه، في مزود. تعالوا نتعلّم منه التواضع. تُغرينا المناصب، الألقاب، الجاه والغنى، وسائل الإعلام؛ نُقاتل بعضُنا بعضاً، نتحاسد، نتنابذ، نكره... يسوع رفض كلّ هذه المظاهر، واكتفى بمزود صغير؛ من هذا التواضع تشعّ العظمة الحقيقيّة. تعالوا نحيا حياة التواري والاكتفاء، ونخلع عن أنفسنا أثواباً مستعارة، مزيّفة، فارغة. إذا كنّا مسيحيين فعلاً، لا قولاً، إذا كنا نؤمن بالطفل يسوع، بالمزود، تعالوا نعود، بمناسبة العيد، إلى حياة التواضع والوداعة.

٢- زاوية الصمت والقناعة: ارتضى يوسف قسمته ونصيبه. اقتنع بما قاله له الملاك، قَبِل مشيئة اللّه. وكان الصمت: لم يصرخ، لم يغضب، لم «ينقّ». أخذ مريم، وعاش معها، طوال حياته، فلم يخبرنا الإنجيليّون عن كلمة واحدة منسوبة إليه. إنّه الصمت المقدّس الذي يغني النفس ويجعلها أكثر إشراقةً وطمأنينة. هل نتعلّم، اليوم، هذا الصمت، بدل كلام فارغ وثرثرة معيبة، ونميمة الأخ على أخيه، والزميل على زميله، والصديق على صديقه. من يوسف الصامت، تعالوا نتعلم الرِضا والقناعة والتطلّع إلى فوق.

٣- زاوية الإيمان الوجدانيّ: من هم الرعاة والمجوس الذين كانوا أوّل من وصل إلى المزود؟ إنّهم المثال الحيّ للإيمان. لم يشكّوا لحظة بأنّ هذا هو يسوع. ركضوا، شاهدوا، آمنوا، قدّموا الهدايا، ركعوا، وصلّوا... آه، نحن في حاجةٍ إلى هذه البراءة والبساطة في التعامل مع يسوع ومع الإيمان.

إلى جانب هذه الزوايا الثلاث، أرجو الالتفات إلى هذا التدبير الإلهيّ، الذي جعل عيدي الميلاد والفطر يلتقيان في أسبوعٍ واحد. إنّه تدبير يدعونا إلى الحوار الأخويّ، وإلى العيش معاً، بروح الرسالتين المسيحيّة والإسلاميّة.

بهذه المناسبة، أتقدّم من الأساتذة والطلاّب المسلمين بأطيب التمنيّات، آملاً لهم، في هذه الأعياد، السلامَ والفرح.

فرصة مباركة للجميع، أعياد هنيئة، صلّوا معي، من أجل كلّ أسرة الجامعة، من أجل كلّ طالب وعامل في هذه الجامعة، ومن أجل لبنان، لكي نستقبل السنة الجديدة، بروح التفاؤل والتسامح والمحبّة... واللّه معكم

يدعو الأولاد إلى هداياه

معه.. الكبار صغار

أدوات تراثيّة من مغارة - خيمة

فرحة دايمة

وشجر على
مَدّ عينك والنظر
وهذا غَيضٌ من فَيض

حلو كتير
وأحلى صبايا . . وصبيان

مغارة..
فمغارة..
ومغارات

تعليق: جسّي كيروز

تصوير: عبده بجّاني

الجامعة في عشاء جامع

طربيه: أسرة واحدة موحّدة وقويّة
.. ووفاء للقدامى، واعتزاز بالجدد

عشيّةَ عيد جميع القدّيسين، وبدعوة من الأب الرئيس بطرس طربيه، التأمت أسرة جامعة سيّدة اللويزة (إداريين وأكاديميين وموظّفين ومجلسَ أمناء ورابطةَ أصدقاء ورابطةَ خرّيجين) في عشاء ساهر، أرخى عليه صوتُ الدكتورة ريم ديب وقد أنشدت «آفي ماريّا»، ثمّ الفنّانة جومانا مدوّر وقد أدّت مجموعات غنائيّةً غربيّةً ولبنانيّة، جوّاً من الأنس والفرح، استطال حتّى الرّقص الذي يُرْقِص!

وقد كانت البدايةُ كلمةً من الأب طربيه، جاء فيها:

قدس الأب العام

حضرة أعضاء مجلس الأمناء وأصدقاء الجامعة

حضرة الآباء والأخوة الأحبّاء

ليلةَ جميع القديسين، نلتقي، وفي القلب، تمنّياتٌ وآمال: هذه الجامعة، هي، في كلّ حين، جامعتُكم وجامعةٌ لكم. فإذا كنتُ رئيساً لها، فهذا الفضلُ يعود لرهبانيّتي التي أوكلت لي هذه المهمّة؛ أمّا أنا فعابر، والباقي هو الجامعة وما يزرعه كلٌّ منّا في أرجائها من فكرٍ ومحبّة وعلم.

في هذه الليلة، لا للكلام الطويل! أتوقّف فقط عند العناوين الآتية:

– نحن، الليلة، كلّنا أسرة واحدة، لا فرق بين انسان وآخر، وكلّنا نجتمع تحت عنوان: جامعة سيّدة اللويزة، وبجوّ من المحبّة والأخوّة.

– نحن، الليلة، نشعر، بوجود أبينا الرئيس العامّ والآباء الأفاضل، أنّنا قوّة فاعلة، قوّة روح وقوّة حضارة وقوّة وطن. واستمرارنا جميعاً في وحدة متراصّة، نعمل ونبني، ينقذنا من الكثير من المشاكل والفوضى.

– نحن، الليلة، نؤدّي شهادة وفاء لكلّ الذين عملوا في هذه الجامعة في مراكزَ ومناصبَ مختلفة. وإذا حصلت تغييرات في المهامّ، فإنّ ثقتنا كاملة بهؤلاء الزملاء الذين نحبّهم ونحترمهم ونقدِرُ تضحياتِهم في سبيل الجامعة.

– نحن، الليلة، نؤدّي تحيّة ترحيب واعتزاز بالذين انضمّوا إلينا، من خارج الجامعة، أو الذين تسلّموا مهامّ جديدة. إنّنا نتطلّع إليهم، بثقة ومحبّة، لعلّنا معهم نضيف مداميك جديدة إلى هذه الجامعة.

Tarabay

على هذا الأمل، أرحّب بكم، ونحن نختتم سنة يوبيليّة نرجو أن تُتوّج بالفرح والإيمان، آملاً في أن يظلّلكم السلام، وأن يكون عيد جميع القدّيسين منارةً تضيء عليكم، فتكون سنتُنا الجامعيّة الجديدة سنةَ خير وبركة عليكم وعلى عائلاتكم وعلى لبنان.

وأهلاً بكم.

ثمّ استدعى الأب العامّ فرنسوا عيد الروّحَ ليعضدَ ويباركَ الجامعةَ، سائلاً اللهَ، بشفاعة سيّدة اللويزة، أن تبقى منارةً لبنانيّةً وضّاءةً في هذا المشرق، ترفد مجتمعاتنا بشباب مؤمن مستنير بنّاء. ودعا الجميع إلى شراكة الخبز والخمر...

يوبيل البرلمانيين والسياسيين والعاملين في الشأن العامّ!

المطران يوسف بشاره

مقدّمة

في إطار الاحتفالات اليوبيليّة التي تنظّمها الكنيسة لتشملَ فئات الشعب كلّها، احتفل قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني، في الرابع والخامس من تشرين الثاني ٢٠٠٠ بيوبيل «البرلمانيين والسياسيين والعاملين في الشأن العامّ».

وفي ما يأتي خواطرُ مستوحاةٌ من المناسبة ومن بعض ما قيل فيها، وبالأخصّ خطاب قداسة البابا وعظته ورسالته التي أعلن فيها القدّيس توماس مور شفيعاً للسياسيين وللمَسؤولين الحكوميين، معرّجاً على بعض المقاطع من الارشاد الرسوليّ «رجاء جديد للبنان»، ومُنهياً ببعض الاستنتاجات التي تتناولُ واقعَنا اللبنانيّ.

أوّلاً - خطاب قداسة البابا

ألقى قداسته خطاباً بعنوان «مساهمة رجال السياسة المسيحيين في السياسة»؛ وجاء هذا الخطاب في ختام يوم من الجلسات البرلمانيّة، شارك فيها رؤساءُ دول وحكومات ونوّابٌ وسياسيّون وعاملون في الحقل الاجتماعيّ، أتَوا من ٩٤ بلداً، ومن بينهم غيرُ مسيحيين. وكان المنتدون قد رفعوا إلى قداسته ثلاث توصيات أجمعوا عليها بعد المناقشات، تتناول: ديون البلدان الفقيرة، كرامة الانسان والحرّية الدينيّة، والأخلاق والعولمة.

يعتبر قداسته أنّ السياسة دعوة إلهيّة ومسؤوليّة؛ دعوة إلى العمل السياسيّ. «وهذا يعني عملياً حكم الدول، وسنّ الشرائع وإدارة الشؤون العامّة».

لذلك يتساءل: ما هي طبيعةُ السياسة ومقتضياتُها وغاياتها، حتّى يدركَ المسيحيّون نُبلها وما هي عليه من صعوبات وتحدّيات، ويتحمّلوا مسؤوليّتها بروح مسيحيّة.

ويجيب بأنّ «السياسة هي استخدام سلطة شرعيّة حتّى يتحقّقَ الخيرُ العامّ للمجتمع».

ويوضح بأنّ «الخير العامّ يتحقّق في مجمل ظروف الحياة الاجتماعيّة التي تستطيع أن توفّر للأشخاص والعائلات والمجموعات اكتمالاً ذاتيّاً أسهلَ وأشمل». فالنشاط السياسيّ يجب أن يُمَارسَ بروح الخدمة».

ويحدّد الصفات التي يجب أن يتحلّى بها المسيحيّ الذي يريد أن يتعاطى السياسة كمسيحيّ، كما يشيرُ إلى المهمّات الملقاة على عاتقه:

• **التجرّد**: فلا يسعى إلى منفعته أو منفعة حزبه أو الفئة التي ينتمي إليها؛ بل يسعى إلى خير الجميع وخير كلّ فرد، ولا سيّما مَن هم مهمّشون ولا اعتبارَ لهم. ويَذكر منهم المساجين، الذين يطالب لهم بمبادرة لاطلاقهم أو تخفيف أحكامهم ومعاناتهم، عملاً بتقليد السنوات اليوبيليّة، وذلك لحملهم على التوبة والندامة والتمسّك بقيم العدالة.

• **إرساء العدل**. وهذه صفة أو اهتمام من اهتمامات رجل السياسة. والعدل، في نظر قداسته، لا يقوم فقط على إعطاء كلّ ذي حقّ حقَّه، بل على توفير فرص المساواة بين المواطنين، والعناية بمن هم معرّضون للاهمال أو النسيان، بسبب وضعهم الاجتماعيّ أو الثقافيّ أو الصحيّ، ويُحرَمون بالتّالي من إمكانيّات التقدّم.

وفي هذا النطاق يشير قداستُه إلى الشكّ الحاصل اليوم في المجتمعات وفي الدول: فالأغنياءُ يزدادون غنىً، لأنّ الثروةَ تولّد الثروة؛ والفقراءَ يزدادون فقراً، لأنّ الفقرَ يقود إلى أشكال عدّة منه. وما يقال عن الأفراد يقال عن الدول.

ولكنّ الأدهى من ذلك هو الحروبُ والنزاعات المسلّحة والمجاعة والأمراض الفتّاكة. وهذه الحالات تشكّل أكبرَ خطيئةِ ظلمٍ في العالم.

ويقول: يجب أن تهزَّ هذه الحالاتُ بقوّة ضميرَ المسيحيين اليوم، بَدءاً بمن في يدهم مقاليدُ العالم السياسيّة والاقتصاديّة والماليّة، ويستطيعون بالتّالي أن يحدّدوا مصيرَ الشعوب خيراً أو شراً.

• **روح التضامن**. ولا تُعالَجُ هذه المشاكلُ الكبرى المنتشرةُ في معظم أنحاء العالم إلاّ بالتضامن. فإنْ نَمَتْ روحُ التضامن الانسانيّ، يتمُّ التغلّبُ على الأنانيّة لدى الأفراد والدول.

ويتطرّق قداسته، في هذا المجال، إلى العلاقة بين ممارسة السلطة، بكلّ أشكالها، والقيمِ الأخلاقيّة. فالتفتيشُ عن السلطة السياسيّة وعن الثروة الاقتصاديّة والعولمة واقتصاد السوق يتّجه إلى بسط النفوذ، ويرتكز على قاعدة وحيدة وهي شريعة المزيد من الربح. يعترفُ قداسته بالدور الايجابيّ للانفتاح، لأنّه يشجّع المبادراتِ الخلاّقة. ولكنّه يشدّد على الاعتبارات الأخلاقيّة. ويُعلن: «أنّ مهمّةَ المسيحيين الذينَ يشعرون بأنّ اللّه يدعوهم إلى الحياة السياسيّة – وهي مهمّة صعبة إنّما ضروريّة – تقومُ بأن يُخضعوا أنظمةَ السوق «المتوحّش»، إلى أنظمة العدل والتضامن. والطريقةُ الوحيدة ليتأمّنَ لعالمنا مستقبلُ سلامٍ هي اقتلاعُ أسبابِ الصراعات والحروب من جذورها، لأنّ السلامَ هو ثمرة العدل».

• **سَنّ الشرائع**. ومن مهمّات رجال السياسة، وخاصّةً النّواب، سنُّ القوانين والموافقةُ عليها. وهي مهمّةٌ يصفها قداسةُ البابا بأنّها تقرّبُ الانسانَ من اللّه المشترعِ الأعظم. «فمن شريعته الأزليّة تستمدُّ كلُّ شريعة قيمتَها وقوّتَها الملزمة». ويؤكّد على أنّ الشريعة الوضعيّة لا يمكن أن تناقضَ الشريعة الطبيعيّة.

فالشريعةُ الطبيعيّة تحدّدُ القواعدَ الجوهريّة لتنظيم الحياة الأخلاقيّة، كما تحدّد الميزات والمتطلبات والقيمَ السامية التي توفّرَ للشخص البشريّ أن يزدهرَ وفقاً لدعوته الإلهيّة.

ولذلك، لا يمكن أن ترتكزَ القيمُ على «الأكثريّة» العدديّة التي سُرعانَ ما تتغيّر، بل على شريعة موضوعيّة طبيعيّة محفورة في قلب الانسان، وهي المعيارُ لكلّ شريعة مدنيّة وضعيّة. ولقد تطرّق قداستُه إلى هذا الموضوع في أكثر من رسالة عالج فيها الموضوعات الأخلاقيّةَ، من مثل إنجيل الحياة، تألّق الحقيقة...

ومن المبدأ ينتقلُ قداستُه إلى التطبيق فيقول: «إنّ الشرائع والقوانين يجب أن تُحترمَ وتنمّي الشخصَ البشريّ بكلّ متطلّباته الروحيّة والماديّة والعائليّة والاجتماعيّة». فكلُّ شريعة لا تَحترمُ الحقَّ في الحياة لكلّ كائن بشريّ، منذ الحبَل بل وحتّى الموت الطبيعيّ، وأيّاً يكنْ وضعُه، سليماً أو مريضاً، جنيناً أم مُسنّاً في آخرِ حياته، فهي ليست شريعةً تتوافقُ وتصميمَ اللّه. فالمشترعُ المسيحيّ لا يستطيع أن يُسهمَ في سَنّها أو الموافقة عليها في المجلس النيابيّ، ولو أُجيز لهَ أن يقترحَ تعديلات تخفّفُ من مساوئها. ويجبُ القولُ نفسُه فيَ كلّ شريعة تُؤذي العائلة وتمسّ بوحدتها وعدم انحلالها، أو تُضفي قيمةً شرعيّة لزواجات بين أشخاص حتّى من الجنس ذاته، تطمح إلى أن تَحلَّ محلَّ العائلة المؤسّسة على الزواج بين رجل وامرأة وتتمتّعُ بالحقوق نفسها».

يعي قداستُه أنّه يثير قضيّةً كبرى تتناول المجتمعَ في كلّ مكان. وهذا المجتمعُ لم يعدْ مسيحيّاً كما كان من قبل، أو ليس بمسيحيٍّ أصلاً. لذلك هناك مفاهيمُ للحياة مختلفةٌ، وهناك مشاريعُ قوانينَ تتعارضُ

والايمان. فكيف يتصرّفُ عندئذٍ المشترعُ المسيحيّ؟

يجيب قداسته: إنّ الفطنةَ المسيحيّة، وهي فضيلةٌ خاصّة بالسياسيّ المسيحيّ، تحدّدُ له كيف يتصرّفُ للحفاظ على أمانته لصوت ضميره الذي تنشّأ تنشئةً صحيحة، وللقيام بمهمّته كمشترع. «فالمقصودُ، بالنسبة إلى المسيحيّ اليوم، ليس الخروج من العالم حيث وضعه اللّهُ، بل تأديةُ شهادة عن إيمانه وأن يكونَ منطقيّاً مع مبادئه، في الظروف الصعبة والطارئة التي تمتاز بها دائرة السياسة».

وَيستفيدُ قداسة البابا من هذا الحشد الكبير من المسؤولين الحكوميين والسياسيين ليطرحَ أمامهم التساؤلات الكبرى المطروحةَ على ضمير البشريّة وَما تثيرُه من مخاوفَ في بداية الألف الثالث: «إلى أي نحن سائرون؟ ما مصيرُ البشريّة في القرن المقبل؟ إلى أين ستؤدّي بنا الاكتشافاتُ العلميّة المذهلة، خاصّةً في الحقل البيولوجيّ والوراثيّ، التي تمّت في السنوات الأخيرة»؟.

علميّاً وبشريّاً، لا جوابَ عن هذه التساؤلات، لأنّنا لا نزال في أوّل الطريق التي قد تقود إلى منفعة البشر أو إلى أذاهم.

ولكنّ البابا يعلن: «أمّا نحن مسيحيي هذا الزمان، المخيف والمذهل في آن، وإنْ كنّا نشاطرُ معاصرينا مخاوفَهم وشكوكَهم وتساؤلاتهم، فلسنا بمتشائمين في ما يخصُّ المستقبلَ، لأنّنا متيقّنون أنّ يسوعَ المسيح هو سيّدُ التاريخ، ولأنّ لنا في إنجيله، النورَ الذي ينيرُ سبيلَنا حتّى في الأوقات الصعبة والمظلمة».

ويتوجّه مباشرةً إلى المسيحيين الذين أتَوا إلى روما كحُجّاج ويقول:

«إنّ لقاءَ المسيح غيّر يوماً حياتَكم... بقَدْرِ ما تحافظون على علاقة وثيقة به، بالصلاة الشخصيّة وبالمشاركة الدائمة في حياة الكنيسة، فإنّه هو الحيُّ بالذات سيستمرّ في أن يفيضَ عليكم الروحَ القدس، روحَ الحقّ والحبّ، والقوّةِ والنورِ الذي نحتاج جميعاً إليه.

«وبفعل إيمانٍ صادق ووطيد، جَدِّدوا انتماءَكم إلى المسيح مخلّصِ العالم؛ واتّخذوا إنجيلَه دليلاً لتفكيركم وحياتكم. وعندئذٍ تصبحونَ في مجتمع اليوم خميرةَ حياة جديدة تحتاج إليها البشريّة لتبنيَ مستقبلاً أكثرَ عدلاً وتضامناً، مستقبلاً منفتحاً على «حضارة المحبّة».

ثانياً - عظة القدّاس

هذه الكلمات التي اختتم بها قداسته الخطاب، ستكونُ محورَ عظته في قدّاس اليوم التالي، في ساحة القدّيس بطرس، بحضور أربعين ألفَ شخصٍ، معظمُهم من رجال السياسة.

وتمحورت عظتُه حول وصيّة المحبّة للّه وللقريب، وَطرح سؤالاً جوهريّاً: كيف بإمكانكم تطبيقُ هذه الوصيّة من خلال خدمتكم للدولة وللمواطنين؟

وفي جوابه، رسم صورةً لرجل السياسة المسيحيّ. وأعرب، بوضوح، مجيباً عن السؤال: «بأن نعيشَ الالتزامَ السياسيّ كخدمة».

والخدمةُ السياسيّة لا تكتفي بمبادئَ عامّة ونوايا طيّبة، بل تُترجم «بالتزام دقيق ويوميّ يتطلّب كفاءةً عالية في القيام بالواجبِ وأخلاقيّةً لا غبارَ عليها في استخدام السلطة بتجرّد وشفافية».

كما أنّ انسجام رجل السياسة مع نفسه يحتاج إلى مفهوم صحيح للحياة السياسيّة والاجتماعيّة المدعوِّ إلى خدمتها. ولذا، على رجل السياسة المسيحيّ أن يتسلّحَ بمبادئ تعليمِ الكنيسة الاجتماعيّ التي بلورتها عبر التاريخ. وهذه المبادئُ ليست إيديولوجيا أو «برنامجاً سياسيّاً»، إنّما هي مرجعٌ أساسيّ لمفهوم الانسان والمجتمع على ضوء الشريعة الأخلاقيّة الشاملة، الموجودة أصلاً في ضمير الانسان، ثمّ ترسّخت بالوحي الانجيليّ (راجع رسالة «الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ» عدد ٤١).

ويحذّر قداستُه، نظراً إلى الواقع السياسيّ المتشعّب، من اعتماد «البراغماتيّة التي تحوّل السياسةَ إلى تبادلِ منافعَ أو إلى ديماغوجيّة وحسابات انتخابيّة لا مبرّرَ لها، ولا سيّما إذا كانت تتناول القيمَ الجوهريّةَ والتأسيسيّة للحياة الاجتماعيّة».

ونظراً إلى التحوّلات العميقة التي يَشهدُها عالمُنا، وبعد انهيار الايديولوجيّات، فإنّ قداسةَ البابا ينادي بفهم جديد للسياسة وللتمثيل السياسيّ ولدور المؤسّسات. ويقول:

«يجب إعادةُ اكتشاف معنى المشاركة، وحثُّ المواطنين على مزيد من الالتزام ليبحثوا عن السبل الملائمة للسير في اتّجاه تحقيق الخير العامّ. ولْيحرصِ المسيحيُّ الملتزمُ على عدم الوقوع في تجربة اعتماد العنف في معارضته، لأنّ العنفَ يولّدُ عذابات كبرى للجماعة. إنّ الحوارَ يبقى الوسيلةَ التي لا مَفَرَّ منها لكلّ مجابهة بنّاءة، داخل الدول كما في العلاقات الدوليّة. ومَن يستطيعُ القيام «بمهمّة» الحوار أفضل من السياسيّ المسيحيّ الذي عليه كلَّ يوم أن يواجهَ ما وصفه المسيح، بأعظمِ الوصايا وأوّلِها، أي وصيّةُ المحبّة»؟

ويتوجّه قداستُه مباشرةً إلى جميع المسؤولين السياسيين، ويصارحهُم بأنّ الواجبات التي ستواجههم في القرن الجديد والألفيّة الجديدة، عديدةٌ وقاسية. ولذلك، فإنّه يقدّم لهم شفيعاً خاصّاً بهم: القدّيس توماس مور، قائلاً:

«إنّه حقّاً نموذجٌ لكلّ من هو مدعوٌّ إلى خدمة الانسان والمجتمع في المجالين المدنيّ والسياسيّ. وشهادتُه بليغةٌ جداً في زمن يطرح تحدّيات عظيمةً على ضمير المسؤولين المباشرين عن إدارة الشؤون العامّة. لقد وضع دائماً نفسَه، كرجل دولة، في خدمة الانسان، وبالأخصّ الضعيف والفقير. ولم تَنَلْ منه الثرواتُ والأمجاد، لأنّه كانَ يهتدي بحسّ العدالة المرهف. وقبل كلّ شيء، لم يساومْ قَطُّ على ضميره، بل سار في طريق التضحية الكاملة بنفسه، ولم يُصِمَّ أذنَه عن سماع صوت هذا الضمير.

استشفعوه، اتبعوه، اقتدوا به. إنّ شفاعَته تُؤتيكم قوّةً وبشاشةً وصبراً ومثابرة، حتّى في الظروف المعقَّدة».

وينهي بقوله: «إنّنا نريد أن يتوطّدَ هذا التمنّي بقوّة ذبيحة الأفخارستيا، حيث لا يزال يقدّم لنا المسيحُ ذاتَه غذاءً وتوجيهاً لحياتنا. ولْيعطكم الربُّ أن تكونوا رجالَ سياسة وفق قلبه، منافسين للقدّيس توماس مور، هو الذي كان شاهداً شجاعاً للمسيح وخادماً نزيهاً للدولة».

ثالثاً - القدّيس توماس مور: شفيع السياسيين والمسؤولين الحكوميين

وكان قداسة البابا قد أعلن القدّيس توماس مور شفيعاً للمسؤولين الحكوميين ورجال السياسة في رسالة أصدرها في ٣١ تشرين الأول ٢٠٠٠، أي قبل أيّام من الاحتفال بيوبيل السياسيين. تشكّل الرسالة بحدّ ذاتها موضوعاً للتفكير والتأمّل، ولا مجال الآن للتبسّط في مضمونها. غير أنّ قداسته يقدّم فيها هذا القدّيسَ مثالاً للأصالة الخلقيّة، وشاهداً لأولويّة الحقيقة على السلطة، والأمينِ على تلبية صوت ضميره حتّى الاستشهاد.

وما يَلْفتُ الانتباهَ في حياة هذا القدّيس هو الشهرةُ التي اكتسبها من جهة، ومن جهة ثانية رفضُه رفضاً قاطعاً لأيّة مساومة تُسيء إلى ضميره وقناعاته، حتّى ولو خسر كلَّ شيء. لذلك، استقال من منصبه، وتحمّل العذاباتِ الماديّة والمعنويّة، حتّى الاستشهاد.

غير أنّ موقفَه الصامدَ حتّى الموت استمدّه من العلاقة الوثيقة بالربّ في الصلاة الدائمة والقدّاس اليوميّ. لذلك، جسّد إيمانَه في حياته، وكانت حياتُه منسجمةً مع إيمانه، على مثال معلّمه السيّد المسيح.

رابعاً - الارشاد الرسوليّ «رجاء جديد للبنان»

إنّ معظم الأفكار التي أوردها قداستُه في الوثائق الثلاث التي أصدرها في مناسبة يوبيل رجال السياسة الوافدين إلى روما من مختلف بلدان العالم، نجدُها في إرشاده الرسوليّ «رجاء جديد للبنان» الذي يتوجّه فيه مباشرةً إلى رجال السياسة اللبنانيين. وكانت مجموعتُكم قد تدارست الشقَّ السياسيّ والوطنيّ في الارشاد؛ وهو موضوعٌ هامّ لم يُستثمرْ حتّى الآن مسيحيّاً ووطنيّاً، لأنّه قد يشكّل بطروحاته مشروعَ ميثاقٍ جديد للبنان.

غير أنّني أشير الآن إلى بعض ما ورد في هذا الارشاد، وكأنّه من الثوابت التي يعود إليها البابا في كلّ مناسبةٍ لها علاقةٌ بالشأن العامّ.

وفي هذا المجال يذكّر: «بأنّ هناك ممارسةً مسيحيّة لادارة الشؤون الزمنيّة... ولا يمكن أن يكونَ للمسيحيين حياتان متوازيتان: إحداهما الحياةُ المسمّاةُ روحيّةً، وهي كذلك بقيمها ومقتضياتها؛ والأخرى التي يُقال لها علمانيّة»، التي لها قيمٌ مختلفة عن الأولى أو مضادّةٌ لها. «ومن هنا، ولأجل أن يبثّوا الروحَ المسيحيّة في النظام الزمنيّ بالمعنى الذي هو خدمةُ الشخص والمجتمع، لا يجوزُ للعلمانيين المؤمنين قطعيّاً التخلّي عن المشاركةَ في «السياسة»، أي عن النشاط الاقتصاديّ والاجتماعيّ، والتشريعيّ والاداري، والثقافيّ المتعدّد الأشكال الذي يَستهدفُ تعزيزَ الخير العامّ عضويّاً وعبرَ المؤسّسات. (عدد ١١٢)

«إنّ المؤمنين العلمانيين يقومون هكذا بخدمة حقيقيّةٍ للانسان وللمجتمع الوطنيّ». (عدد ١١٣).

ويبيّن قداستُه أنّ هذه الخدمةَ نابعةٌ من المعموديّة التي تُشركهم في وظيفة المسيح المثلّثة: الكهنوتيّة والنبويّة والمُلوكيّة.

وعندما يقوم المؤمنون العلمانيّون بعملهم السياسيّ، فعليهم تجسيدُ الانجيل وقيمه في مختلف نواحي الحياة، متحلّين بالحلم والجرأة والشجاعة. وهكذا، فإنّهم، بعملهم هذا، يُحيون الرجاءَ لدى الشباب بأنّ المستقبلَ ممكنٌ، وعليهم أن يُسهِموا في تحوّلاته.

ويقول قداسته: «إنّ إدارة الشؤون العامّة هي سبيلٌ إلى الرجاء، لأنّها تتّجه نحو عالمٍ علينا أن نبنيَه، ويلوح من خلالها أنّ التحوّلاتِ ممكنةٌ كي يتحسّنَ وضعُ البشر». (عدد ١١٣)

وفي الكلام على حقوق الانسان، يذكّر قداسةُ البابا بمسؤوليّة الحكّام فيقول:

«يجب على السلطات الشرعيّة داخلَ الأمّة أن تسهرَ على تمكين كلّ الجماعات والأفراد من التمتّع بالحقوق نفسها والخضوع للواجبات عينها، وفقاً لمبادىء الإنصاف والمساواة والعدالة. وعلى الحكّام، بصفتهم مواطنينَ، يؤدّون خدمةً عامّة، أن يبذلوا جهدَهم ليسلكوا مسلكاً مستقيماً يتميّز بما يجب من تواضع، لخدمة الأخوة، ليعطوهم مثالاً في الصدق والنزاهة. ذلك أنّ الاستقامة الخُلقيّة هي أحدُ العناصر الجوهريّة التي لا بدّ منها للحياة في جماعة. في الميادين السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، يُدعى المسؤولون عن الحياة العامّة إلى الانتباه، بالأخصّ، لمن هم مهدّدون دائماً بالتهميش في المجتمع...» (عدد ١١٥)

وللقيام بهذه المهمّات الدقيقة، يطالب قداستُه «بتنشئة رجالات ذوي مستوى رفيع من الأهليّة يتمتّعون بالكفاءة لإدخال وطنهم في جميع مسالك الحياة الدوليّة». (عدد ١١٥)

خامساً - إستنتاجات وتساؤلات

١- إذا كانت السياسةُ دعوةً إلى الخدمة لتحقيق الخير العامّ، كان لا بدّ لها من تهيئة وتنشئة، كما هي حالُ الدعوة الكهنوتيّة أو الدعوة إلى الزواج. وهذه التنشئةُ توفّر لمن يتقبّلُها الكَفاءةَ المطلوبة للقيام بالمهمّات المترتّبة عليه، كما تبيّن له متطلّبات هذه الدعوة، وما تقتضيه من صفات أخلاقيّة. فالتعاطي بالسياسة، بمفهومها النبيل كدعوة، لا يُرتجَل، ولا يُرتهن، ولا يُشترى ولا يُباع. فهل هذه هي الحالُ عندنا؟

٢- والسياسةُ كدعوة لها مفهومٌ يرتبط بعلاقة الانسان باللّه الذي منه تأتي كلُّ دعوة. وهذا لا يعني أنّ هناك سياسةً مسيحيّة، بل ممارسةٌ مسيحيّة للسياسة. والممارسةُ المسيحيّة تقتضي أمرين:

الأوّل: الاطّلاع على تعليم الكنيسة الاجتماعي، وعلى فكر الكنيسة وتوجيهها في مجالات الحياة العامّة. وهناك رسائلُ بابويّةٌ هامّة جدّاً، ووثائقُ كنسيّة، خاصّةً في المجمع الفاتيكانيّ الثاني، عالجت وتعالج شؤوناً سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة وثقافيّة... وكان المرحوم كمال جنبلاط يفتخر بأنّه مطّلع تمامَ الاطّلاع على هذه الرسائل والوثائق... فهل السياسيُّ المسيحيّ عندنا ملمٌّ بهذه الوثائق ومهتد بها؟ بعد صدور الارشاد الرسولي رجاء جديد للبنان، جرت حوله مناظرةٌ تلفزيونيّة بين نائب ماروني ونائب شيعي، بدا واضحاً من خلالها أنّ الشيعي قرأ بإمعان النصّ واستوعبه، بينما الماروني لم يقرأه واكتفى بما قيل عنه كمعلومات عامّة!!

الثاني: السياسةُ ليست نوايا ومساومات، بل هي التزامٌ ومواقفُ، إنطلاقاً من ثوابتَ الايمان وأولويّاته، ومن بديهيّات الحياةَ ومسلّماتها التي عبّرت عنها شرعةُ حقوق الانسان. فالدفاعُ عن الحقيقة والحريّات، وتوفيرُ العدالة، ورفعُ الظلم، وإشاعةُ السلام، وبثُّ روحِ التضامن هي من أُولى المسؤوليّات المترتّبة على رجل السياسة، وخاصّةً المسيحيّ، وإنْ كانت لمواقفه هذه عواقبُ تُفقده مكاسبَ ومناصبَ، إنّما تُرضي ضميرَه. ألا نُلاحظُ أنّ مواقفَ بعضِ السياسيين عندنا تخضع لمقاييسَ متقلّبةَ وحسابات المنفعة والخسارة، ونيل رضىً المقاماتَ وأصحاب النفوذ، ولو على حساب المواطنين والوطن؟

٣- السياسة الحقّة لا تخاف من الحقيقة. وعلى السياسيين أن يطرحوا الأسئلةَ المحرجة والمقلقة التي يطرحُها الناسُ، كلُّ الناس، ولا سيّما أولئك الذين يَشعرون بالقهر والغبن والإذلال؛ الأسئلة التي تتعلّق بمصير الشعب والوطن، وبمصير الشعوب والدول في زمنٍ أصبحت فيه وسائلُ الاعلام على تنوّعها بمتناول الناس، تفتح أذهانهم وبصائرهم على ما يحدث عندنا وعند غيرنا؛ وبالتّالي لا فائدةَ في تجهيلهم أو الاستخفاف بعقولهم. ألا نَرى أنّ بعضاً من سياسيينا يتحاشَون طرحَ مثل هذه الأسئلة؛ وإذا طُرحت، عابوا على من يطرحها توقيتَها وإثارةَ الفتن والتدخّل في شؤون لا تعنيه؟ إنّ الجرأة من ميزات رجل السياسة. وبين الجرأة والتهوّر أو الخوف فرقٌ كبير!

٤- إنّ دعوة السياسيين في لبنان، من مسيحيين ومسلمين، أن يقوموا بالحوار المطلوب، لا لحلّ المشاكل الطارئة فقط، بل لمواجهة الواقع الراهن والعمل معاً على إرساء نظام سياسيّ عادل ومنصف، كما أوصى به الأرشاد الرسوليّ «رجاء جديد للبنان» (العدد ١١٢) حتّى يحافظَ على لبنان الرسالة بما فيه من خصوصيّات دينيّة وثقافيّة، ليكونَ نموذجاً ديموقراطيّاً يحترم التعدديّة ويصونها. وكم تبدو قصيرةَ النظر أو سطحيّةً، إن لم نقلْ ساذجة، المواقفُ التي تتعامى عن المشاكل الحقيقيّة أو تحوّلُ الأنظارَ عنها. مثالاً على ذلك النظرُ إلى مشكلة لبنان حاليّاً وكأنّها مشكلةٌ اقتصاديّة، أو اعتبارُ الطائفيّة أساسَ كلِّ العلل، وهكذا دواليك. وهي مواقفُ لا تَنِمّ عن تشخيص سياسيّ صائب ورؤية سياسيّة شاملة وموضوعيّة.

٥- إنّ القيام بالمهمّات السياسيّة المعقّدة، خاصّةً في لبنان، يستدعي عملاً جَماعيّاً متضامناً يُترجَمُ بانشاء تكتّلات سياسيّة، داخل المجلس النيابيّ وخارجه، تدرس وتخطّط وتطرح المشاريع وتلاحقها؛ وتعتمد في إنشائها وعملها معايير أخلاقيّة وأهدافاً وطنيّة، حتّى تخلق روحاً جديدة في العمل السياسيّ.

٦- ولذلك، قد يكون من المفيد جدّاً تحضير الشبيبة، على مستوى الجامعات، لتدركَ أهميّةَ العمل السياسيّ في كلّ الميادين وتنخرط في أحزاب ومنظّمات لتأطير هذا العمل وتوجيهه توجيهاً صحيحاً. لقد دلّت الاحصاءاتُ على أنّ الشبيبة في لبنان تعيش أزمةً مزدوجة: إنّها تكره السياسيين وتحبّ السياسة. وهذا وحدَه كاف لايقاظ ضمير مَن في يدهم مستقبلُ لبنان ليُدركوا خطورةَ هذا الوضع ويعملوا على تصحيحه.

خاتمة

إن الاحتفال بيوبيل البرلمانيين والسياسيين والعاملين في الشأن العام يخضع كغيره من الاحتفالات اليوبيليّة لاعتبارات ثلاثة:

- تحليل لواقع كلّ فئة من الفئات المحتفلة بيوبيلها، أفراداً وجماعةً، وما تواجهه من تحدّيات، وكيف تتصدّى لها على نور الانجيل.

- الاقرار بما صدر عنها من تقصير أو أخطاء أو خطايا في تحمّل مسؤوليّاتها.

- تجديد الرجاء بالمسيح الذي هو هو أمس واليوم وإلى الأبد.

وهذا ما جرى في روما وما يجدر بنا أن نتابعَ القيامَ به في لبنان، ولا سيّما أنّ هناك سبباً إضافيّاً يحثّنا على ذلك، وهو الارشاد الرسوليّ الذي صدر بعد السينودس من أجل لبنان، واسمُه «رجاء جديد» تحديداً، (الأعداد: ١٢٠-١٢١-١٢٢)

التعليم العالي وعُقم التشريع

بقلم: محمّد ماضي
المدير العام السابق للثقافة والتعليم العالي

على أبواب الألفيّة الثالثة، خطا التعليمُ العالي، في العالم المتقدّم، خَطواً نوعيّاً، وتكيَّفَ طَوعاً، وتطوّر أسلوباً وبرامجَ وطرائقَ تعليم.

مع انتشار الكومبيوتر ونشر الإنترنت، أصبحَ التّواصُلُ عن بُعدٍ والمخاطبةُ بواسطةِ الأجهزة، أمراً ميسوراً...

سادت اللغةُ الإنكليزيّةُ بشكلٍ خاصّ.. دون أن تمنع لُغات أخرى من التألّق كاللغة الفرنسيّة واللغة الإسبانيّة، على سبيل المثال.

أضحت الإنكليزيّةُ لُغةً عالميّةً بامتياز؛ فهي تُستعملُ في كلِّ المجالات، وتُدوّنُ بها الرّسائلُ والعقودُ والإتفاقيّات والقرارات الأمنيّة والنشاطات الدّولية، وتُقدّمُ بها أو تُترجمُ إليها، أبحاثٌ تتعلّقُ بالثقافة والتربيةِ والعلوم.

صارت الإنكليزيّةُ لغةَ العولمة.. منها وإليها تنتقلُ المعلوماتُ بتنوّعِ اللغات.. مُعظمُ وسائلِ الإعلام، لا سيّما الفضائيّاتِ المرئيّة، تبثّ بهذه اللغةِ الأخبارَ والتعليقات وما يتعلّق بالمناسبات والإحتفالات، يتبع ذلك ترجماتٌ إلى اللغات المعنيّة...

في أجواء العولمة هذه، بدأ ينتشرُ التعليمُ عن بُعد، على المستوى الجامعيّ بخاصّة.. لم تعد قاعاتُ الدّرسِ والأبنيةُ المتعدّدة والمساحاتُ الخضراءُ وجيوشُ الأساتذة، أُموراً ضروريّةً للتعليمِ الجامعيّ عن بُعد.

يكفي الجامعةَ بناءٌ من بضعِ طوابق، مُزوّدٌ بأجهزةِ إرسالٍ وشاشات كومبيوتر ومجموعة مُحاضرين.

يتلقّى الطّلابُ والمنتسبونَ المحاضرات العلميّةَ، وهم في أماكنِ تواجدهم وأعمالهم.. وربّاتُ البيوت في منازلهنّ وكلُّ راغبٍ بالتعلّم في بلدته أو قريته.. ويخضعُ الجميعُ لامتحاناتٍ دوريّة تُجريها الجامعةُ بطريقتها وفي مواعيدَ تُحدّدُها.

انتشرت طريقةُ التعليم عن بعد، في أميركا وأوروبا ودولٍ أُخرى وبدأت تغزو دولَ العالم الثالث.

تبعاً لهذه الطريقة في التعليم، حدثت تبدُّلاتٌ في وسائل التّلقين، وأُجريت تعديلاتٌ على برامجِ التعليمِ، واختلفت أساليبُ التّعاطي مع المتلقّين، من جماعاتٍ وأفرادٍ ومُنتسبين...

لم يعُد العمرُ مسألةً مُحدَّدةً بزمنٍ مُعيّن لتلقّي العلم.. أصبحَ التعليم الجامعيّ في متناولَ الجميع، شباباً وشيباً وكُهولاً ومُعوّقين من الجنسِ الخشنِ والجنسِ اللطيف.

أصبح التعليمُ الجامعيُّ يتماشى مع ظروف العمل، ولا يتطلّبُ تفرُّغاً كاملاً إلاّ في حالات علميّة خاصّة وفي أوقات مُحدَّدة.. أصبحَ العلمُ والعملُ يسيران معاً في يُسرٍ وانتظامٍ وتنسيق.. قديماً قيل: »أطلب العلم ولو في الصين«. في عصرنا أصبحَ العلمُ يطرقُ أبوابنا ويدخلُ إلى غرفنا...

هذا المسلكُ العلميُّ الجديد، ماذا أعددنا له؟..

كيف نحثُّ الخُطى ونستكملُ استعدادَنا للجديدِ الدّاهم؟..

في لبنان، كان التعليمُ عن بُعد يُسمّى تعليماً بالمراسلة.. وهو غيرُ مُعترفٍ به رسميّاً، وإن مارسَهُ البعضُ من اللبنانيين.

في النصف الأوّل من العام ٢٠٠٠ وافقت الدولةُ اللبنانيّةَ على إنشاء »جامعة مفتوحة« أي جامعة للتعليم عن بُعد في لبنَان، بناءً على طلبِ منظّمة مُتخصّصة من منظّمات الأممِ المتّحدة، وبرعايةِ الأمير السعوديّ طلال بن عبد العزّيز.

نَصَّ مشروعُ الأمير على إنشاء خمس جامعات مفتوحة في العالم العربيّ، على أن يكونَ المركزُ الرئيسيُّ في بيروتَ أو عَمّان أو القاهرة أو تونس، من حيثُ المبدأ.. لكنْ، جرى التّوافقُ أخيراً على أن يكون المركزُ الرئيسيُّ في الكويت.

ما يلفتُ النظرَ أنّ الموافقة على إنشاء جامعة مفتوحة في لبنان، قد جرى، دون وضعِ القوانين المناسبةِ لهذا النوعِ من الجامعات الجديدة على ساحةِ التعليم العالي.

لذلك، أصبح لزاماً على الدولة اللبنانيّة، بعدَ أن اعترفت بالتعليم عن بُعد، أن تضعَ النصوصَ القانونيّة التي ترعاهُ وتنظّمه.

وبما أنّ البابَ سوف يُفتحُ لوضعِ تشريعات ترعى وتنظّم التعليم العالي في لبنان، فقد أصبح من الضروري والواجب إعادةُ النظر بالقوانين والأنظمة المرعيّة الإجراء، التي مرّ عليها الزّمن وتجاوزها التطوّر العلميّ.

من هذه النصوص القانونيّة المطلوب تطويرها، نذكرُ على سبيلِ المثال:

– تطوير قانون إنشاء الجامعة اللبنانيّة، بخاصّة لجهة الإعتراف بالدراسات العليا، في التنوّعِ المعروف والحاصل عالمياً، دون التقيّد بمسألة التجانس بين مواضيع التخصّص، كلّما انتقل الطالبَ من الإجازة الجامعيّة، إلى الدراسات العُليا، إلى شهادةِ الدكتوراه.

– تطوير النصوص القانونيّة التي ترعى معادلة الشهادات الجامعيّة رسمياً، تبعاً لذلك.

– وضعُ شروطٍ واضحةٍ ومعاييرَ علميّةٍ لمعادلةِ الشهاداتِ الأجنبيّة بالشهادات اللبنانيّة.

– وضعُ آليّة للاتّصال الرّسميّ بين الجامعة اللبنانيّة ولجنة المعادلات من جهة، والجامعاتِ الأجنبيّة من جهة أخرى، منَ أجل الاستعلامَ عن أوضاعِ الطلاّب والاطّلاع على برامج التعليم في هذه الجامعات وما يستجدُ عليها من تعديلات.

– تطوير الأنظمة التي ترعى الفروع التطبيقيّة للجامعة اللبنانيّة، لا سيّما فيما يتعلّق بالأبحاث والاكتشافات، وتأمين وسائل ومصادر الإنفاق عليها، بالتعاون والتنسيق مع المجلس الوطنيّ للبحوث العلميّة.

– فتح بابِ التواصل والتدرّج ما بين التعليم المهنيّ والتعليم العالي، كما هو حاصلٌ عالمياً، وكسرُ الحواجز القانونيّة السائدة، التي تمنعُ على طلاّب التعليم المهنيّ الانتسابَ لأيّ فرعٍ يختارونه من فروع التخصّص الجامعيّ.

– وضع النصوص القانونيّة، وتحديد الأُسس والأطُر، لفتحِ جامعات جديدة في لبنان، مع التشديد على تأمين المستويات العلميّة العالية.

– تطوير النصوص ووضع الضوابط، التي ترعى العلاقة بين الإدارة من جهة والجسم التعليميّ من جهة أخرى، بحيث تراعي العدالة والكفاءة والخبرة والإختصاص. وتؤدّي إلى إنصاف الأساتذة الجامعيين، فلا يكون التفرّغُ والتعاقدُ والأجورُ والتعويضات عُرضةً للمداخلات الساسيّة، وتعطيلُ الدروس والإضراباتُ لنيل المطالب وإحقاق الحقوق.

– وضع نصوصٍ قانونيّة مرنة، تسمحُ للمسؤولين في الجامعات ولجان المعادلات، اتّخاذ الإجراءات اللازمة، من أجل استيعاب كلّ جديدٍ يطرأ ومعالجته، دون اللجوء إلى وضع تشريعات جديدة قد لا ترى النّورَ إلاّ بعد انقضاء زمنٍ على الحدث العلميّ، ونفاد فرصةِ معالَجةِ مفاعيله.

من جملة الأسباب الموجبة للاقتراحات المطروحة، ما يأتي:

– إنّ الطلاّب اللبنانيين الذين يتخصّصون في الجامعات الأجنبيّة، غالباً ما يُفاجأون بعدم الموافقة على معادلة شهاداتهم، حسب القوانين اللبنانيّة المرعيّة الإجراء، الأمر الذي يؤدّي إلى إحباطهم، ويدفع بهم إلى السفر والعمل خارج لبنان، حيث لا موانع تحولُ دون معادلةِ شهاداتهم والاعتراف بها.

– كذلك تحدُّ قوانين الجامعة اللبنانيّة الحاليّة من فُرَص تنويعِ الإختصاصات العُليا أمام الطلاّب الذين يتابعون دراساتهم الجامعيّة في لبنان، بحجّة التجانس في مواضيعِ الإختصاص التي لا تزال تفرضها القوانين اللبنانيّة.

– وفي موضوع التعليم المهنيّ توجد موانعُ قانونيّةٌ قاسية وضاغطة على الطلاّب، بحيث يتوقّف اختصاصهم عند سقف التعليم المهنيّ، ولا يتعدّاه إلى التعليم الجامعيّ الواسع الآفاق والحدود.

– أما القيّمون على إدارة الجامعات والمسؤولون عن معادلة الشهادات الجامعيّة، وأعضاء اللجنة الفنيّة لفتحِ الجامعات، ومجلس التعليم العالي، فيجدون أنفسَهم مقيّدين بنصوص قد تجاوزها الزمن، وتعدّاها التطوّر.. فلا يستطيعون إنصافَ الطلاّب، والتجاوبَ مع المؤسّسات التي تطلب تراخيصَ لفتح جامعاتٍ جديدة...

هذه الاقتراحات حاولنا تنفيذ بعضها، عندما كنّا في سُدّة المسؤوليّة، فلم نجد الفرصةَ السانحة، بسبب انشغال المسؤولين بقضيّة دمج الوزارات من جهة، والاهتمام بتنفيذ مشروع »بيروت عاصمة ثقافيّة للعالم العربيّ للعام ١٩٩٩« الذي استقطب كلّ الجهود، من جهة ثانية.

اليوم وقد أصبحنا خارج المسؤوليّة، نرفع الصوتَ مُطالبين مجدّداً بما أوردناه آنفاً، راجين أن يلقى هذا المطلبُ العامّ الاهتمامَ والتجاوب وحسن التنفيذ.

بيروت، في ٢٠٠١/١/١

صلّى..
نام وقام.. ثمّ قال: أنا أموت. اليومُ أموت.
فشجرة الكلامنتين حزينةٌ حزينة..
ونحن أيضاً الشجرة، نبكي شارل حلو.. ونصلّي...

صلّى صلاةَ الغطاس.. ونامَ.
صلّى ليسوعَ المسيح.. لمريمَ العذراء، ونام.
ثمّ قام.. وقال من ألمٍ في حشاه: أنا أموت، اليومَ أموت!
ومات.
شجرةُ الكلامنتين حزينةٌ.. حزينة.
ونحن، عارفوه.. محبّوه وقادروه، كتلك الشجرة.. تلك الشجرة!!
شارل حلو، المحامي والصحافيّ والسفير والوزير والنائب والاداريّ والرئيس والمؤلّف.. والانسان الانسان، هو الحضورُ الفاعل والشاهدُ على قامة لبنانَ الحديث وقيم هيكله.
هذا الكبير.. كبر به زمانُه، وقد كان سبعةً وثمانين عاماً، أخصبها بوزنات جلّى، منها:
- إشرافُه في حلب على إدارة جريدة «برق الشمال»، ثمّ انضمامُه إلى جريدة «لوجور» في بيروت.
- تأسيسُه، عام ١٩٣٦، مع شبّان آخرين، الكتائبَ اللبنانيّة.
- تعيينُه، عام ١٩٤٦، وزيراً مفوضاً مطلق الصلاحيّة لدى الكرسيّ الرسوليّ.
- انتخابُه، عام ١٩٤٨، رئيساً للمكتب العربيّ للدفاع عن فلسطين.
- تعيينُه، عام ١٩٤٩، وزيراً للعدل (استقال بعد شهرين).
- انتخابُه، عام ١٩٥١، نائباً عن بيروت، ثمّ تعيينُه وزيراً للخارجيّة ترأّس وفدَ لبنان إلى الأمم المتّحدة.
- تعيينُه، عام ١٩٥٤، وزيراً للعدل والصحّة.
- تعيينُه، عام ١٩٥٨، وزيراً للاعلام والتربية.
- تعيينُه، عام ١٩٦٢، رئيساً لمجلس السياحة.
- تعيينُه، عام ١٩٦٤، وزيراً للتربية.
- انتخابُه، عام ١٩٦٤، رئيساً للجمهوريّة.
- وفي نهاية عهده، عُيّن عضو شرف في جمعيّة البرلمانيين الناطقين الفرنسيّةَ (ليس من سابقة قبله إلاّ تعيين أندريه مالرو)، ثمّ انتُخب رئيساً لهذه الجمعيّة. وقلّده الرئيس الفرنسيّ فاليري جيسكار ديستان «البلياد» عام ١٩٨٧.
- له ١٢ مؤلّفاً بالفرنسيّة، و٣ بالعربيّة، ومقالاتٌ كثيرة في الصحف والمجلاّت اللبنانيّة والعالميّة.
- وممّا شغله أيضاً: رئاسة قدامى جامعة القدّيس يوسف ومدرسة سيّدة الجمهور (من ٨٧ إلى ٩٢)، ورئاسة أصدقاء مطاعم المحبّة، وهي اليوم ٢٧ مطعماً منذ نشأتها عام ٨٣، ورئاسة شرف للجنة أصدقاء المدارس الرسميّة في كسروان ولإذاعة وتلفزيون تيلي لوميير.
- وحاز ميداليّات عدّة دوليّة وأوروبيّة.

.. من ٢٥ أيلول ١٩١٣ إلى ٧ كانون الثاني ٢٠٠١ عمرٌ، بل عصرٌ من العطاء اللبنانيّ الانسانيّ المفعم بقيم حضارة المحبّة.

بلى.

شارل حلو رئيسٌ من عندنا.. كتب. فالأجيالُ تقرأه... وفي جامعة سيّدة اللويزة، وقد كان لها الأبَ الراعي يَحدبُ على أسرتها ويَنصرُ وثباتها، لمّا نزل نقرأ له ونَسترجع صداه.

ومن آخر ما كتب لنا، في ٢٠٠٠/١٢/١٨:

الميلاد المجيد والفطر المبارك

يقول مثلنا الشعبيّ: الصدفة أجمل من ميعاد.

ونضيف نحن: أجمل من الاثنين: الصدفة والموعد، هو هذا التدبير الإلهيّ الذي جعل عيدي الميلاد المجيد والفطر المبارك يلتقيان في آخر سنة ٢٠٠٠، وكأنّ في لقائهما دعوةً مباركة للبنانيين، نأمل أن تكون مناسبة لحوار مسيحيّ-إسلاميّ وجدانيّ عميق، يرمز إلى التجدّد والانفتاح، في مطلع الألفيّة الثالثة.

حرام أن نحوّل الميلاد إلى عيد فولكلوريّ، يباح فيه الرقص والغناء، وتنتشر المصابيح، وتكثر الأشجار المضيئة والمآدب الفاخرة واللقاءات الراقصة والبطاقات الأنيقة، وتغيب عنه صورة يسوع، رمز التواضع والمحبّة والعطاء.

وحرام أن نحوّل الفطر إلى عيد فولكلوريّ، تغيب عنه حقيقة الصوم والإماتة والتضحية، لتظهر صورة البذخ والترف والعلاقات الاجتماعيّة البرّاقة والزّائفة.

إنّ عيدي الميلاد والفطر هما، في الحقيقة، عيد تطهّر النفوس من الخطايا والشهوات والمباذل؛ وهذا ما نحتاج إليه، اليوم، في لبنان.

نحن نحتاج إلى طهارة النفوس، بعد هذا الليل الطويل الذي انتصرت فيه الغرائز على حلاوات الروح.

إنّ المصالحة مع النفس ومع الآخرين تحتاج إلى مثل هذه الطهارة الانسانيّة الوطنيّة.

على هذا، أقف أمام ربّي، اليوم، لأصلّي:

يا ربّ

أعطنا، في لبنان، أن نحبّك، أن نحبّ بعضنا، أن نحبّ لبعضنا الخير والنعمة.

أعطنا أن نبني وطننا، بروح التجدّد والتسامح والعطاء.

أعطنا أن نصون الحريّة والاستقلال والعيش المشترك.

أعطنا أن نقول الحقّ، فلا نكذب، وأن نعبّر بصدق عمّا نُسرّ، فلا نخفي غير ما نعلن، ولا نبوح بما لا يختلج في نفوسنا.

أعطنا أن نعمل معاً، ولو بأساليب مختلفة، من أجل الوصول إلى هدف واحد: المجدللّه في العلى، وعلى الأرض السلام.

منك، يا ربّ أطلب، أن تكون السنة الجديدة عتبة لقرن جديد يحمل عنوان المحبّة والعدالة والمساواة.

لقد جعلت، يا ربّ، من لبنان مختبراً لهذا التفاعل الانسانيّ بين المسيحيين والمسلمين، بين الميلاديين والفطريين،

فصُنْ هذا التفاعل، وبارك هذا المختبر، واحفظ لبنان.

شارل حلو

وفي ١٩٩١/٧/٢٦، كان الرئيس شارل حلو عرّابَ وخطيبَ الدفعةَ الأولى من خرّيجي جامعة سيّدة اللويزة.

يومَها، توجّه إلى الشباب، ثمّ إلى جميع إخوانه وأبنائه اللبنانيين بالقول:

إنّ هذه الشهادات ليست فقط أداة أو وسيلة لممارسة عمل مهنيّ أو نشاط حرّ، بل هي تحدّ لما عانيتم من مشقّات في تكملة دروسكم، كما هي تحدّ لكلّ ما قد تواجهونه من متاعب بعد انتهاء هذه الدروس. إنّها تجسيد لما تتحلّون به من عزيمة وتمسّك بالقيم الثقافيّة والأدبيّة التي لا يقوى عليها أيّ نوع من المخاطر، إذ ما من عنف استطاع أو يستطيع القضاء فعلاً على وطن هو وطن الفكر والروح.

وإلى الشباب أقول:

يطيب لي الكلام على الشباب، كما يطيب لي الكلام إليهم. أمّا الكلامُ عليهم فهو كلام عن الأمل المعقود على أيّامهم الآتية الخصبة، وعلى الغد المرتجى لجهدهم، وعلى الآفاق البعيدة التي سيورق عليها عودهم، ويزهر، ويثمر، بإذن الله.

أمّا الكلام إليهم فهو كلام على إعجابي بهم جَمعاً وفُرادى، وعلى إعجابي بما يعملون للحقّ، وما يشتغلون للمعرفة، وما يتصدّون للباطل، وما يشعّون من نور، وما يتنافسون بالكفاآت والقدرات في سبيل وطنهم.

وإلى جميع اخواني وأبنائي اللبنانيين، أقول:

إنّ قدرنا، منذ البدء، محفوف بالصعاب. لعلّ ما أقوله لكم اليوم هو ترداد لما لا أزال أذكره في عدد من المناسبات في الداخل وفي الخارج.

وهنا تعاودني صورتان لما كان لآبائنا وأجدادنا من غلبة على الذات. ثمّ من تجشّم للمخاطر واقتحام للمجهول.

حالكم كحال الملاّحين الأوائل الذين درجوا على هذه السواحل، فلم يكتفوا بأن يجاروا الشاطئ ويجاوروه، بل دهموا المجهول وغابت عنهم معالم الأرض فاسترشدوا النجوم والكواكب، مستعينين بما كانت توحي لهم من معلومات مخاطبتهم المستمرّة مع أنفسهم ومع السماء.

وبعد مئات السنين أمّ أجدادنا هذه الجبال بحثاً عن حريّة وكرامة وأخوّة ومحبّة، فكان لهم من كلّ ذلك وطن.

قصّتهم تشبه أسطورة المزارع، الذي طلب إلى أولاده، أن يبحثوا عن كنز دفين في حقل أورثهم إيّاه، فبحثوا بل نقّبوا الأرض واستنبتوها أشجاراً وأزهاراً وثماراً.

إلى هذا أنتم مدعوّون: إلى بناء وطن على صورتكم ومثالكم، ضمن جغرافيّة الايمان بالله وبالانسان.

* * *

ما أقوله لكم جميعاً، أقوله لكلّ واحد منكم الآن. كلّ واحد مدعوّ لأن يكون عنصراً فاعلاً في عمل الخلق والبناء. كلّ من يرتفع يرفع معه المجتمع كلّه. كلّ من يتفوّق في أيّ ميدان يتفوّق به وطنه دعامةً وحجّة. أجل، كلّ عمل، مهما بدا صغيراً أو متواضعاً أو فرديّاً، له بعده وعمقه وجدواه.

إنّه بناء للذات وبناء للوطن في آن.

إخوتي وأبنائي،

الأب الأقدس، من روما، يوجّهنا إلى الرجاء.

والرجاء لا يعني أنّ التقديرات والحسابات تدعو إلى التفاؤل بغد أفضل، بل يذهب إلى أبعد من ذلك، فهو يعني أنّنا نعرف ونؤمن بأنّ المسيح هو سيّد التاريخ أي سيّد الماضي والحاضر والمستقبل، وأنّ علينا أن نبحث عن إرادته ومشيئته، في عملنا اليوميّ، كي نجد أحوج ما نكون إليه وكي نبعد عنّا أسباب القلق. »أنا هو لا تخافوا«. هذا ما قاله لتلاميذه في وسط البحر الهائج. أجل هو معنا وفينا، وفي ضوء تعاليمه يصبح الموت نفسه الوجه الآخر للقيامة والحياة.

ثمّ إنّ رجاءنا مبنيّ على ما أكسبنا التاريخ من ثقة بأنّ الشعوب الجديرة بالحياة تعود إلى الحياة مهما طال ليلها واستطال، ومهما تعرّضت له من مصائب ومصاعب.

عذراً، إذا أسمعتكم ما يشبه العظة العلمانيّة.

إنّني على يقين من أنّ ما نرزح تحته من أعباء سيتغيّر بإذن الله. علينا، إذا أردنا الاستفادة من الفرص المؤاتية، أن نبقى، لا بل أن نصبحَ مشدودي الارادة، موحّدي الهدف، مؤمنين بأنّ الطريق الصامدة الصاعدة، هي وحدها طريق لبنان.

فلبنان الذي قدّم للانسانيّة، منذ فجر التاريخ، دعامة حضارتها بأبجديّته، ووطّد مراكز الاشعاع ومحطّات التحضير عبر البحار، وأعطى العصور اليونانيّة فلاسفة أعلاماً، وأهدى العهد الرومانيّ أبرز مشترعيه وأعظم صروح الحقوق فيه، ومحض القرون الوسطى نفسها دفقاً تجاريّاً وصناعيّاً لا مثيل له، ناهيك باسهامه الكامل في قيام النهضة العربيّة منذ مطلع القرن التاسع عشر حتّى اليوم، . . هذا الوطن لا بدّ أن يواصل رسالته النبيلة المشرقة؛ رسالة لا غنى عنها، لا لأبنائه فحسب، بل للعالم أجمع، ناشراً حضارته العريقة عبر المقيمين والمغتربين من أبنائه.

إخوتي وأبنائي،

لنلخّص فعل إيماننا بلبنان:

نحن شعب أعطى كثيراً، فعليه الاستمرار في العطاء الكثير، لنصمد ونبقى.

نحن شعب عرف الصعاب فما لان، وتوالى عليه العنف فما يئس.

نحن شعب يعرف أن يفيق من سبات، وينهض من كبوة، ويرتفع من وهدة، لأن قوّتنا من قوى الروح، وصلابتنا من صلابة العقيدة، وأنوارنا من أنوار معرفة أخذنا بها ووزّعناها على الدنيا.

لن يضيرنا ضيق رقعتنا، ما دام لبنان وطن الانسان، وما دام انتشارنا في العالم لا لنزيد في مساحة الوطن بل في فضائل الانسان.

أبنائي وإخوتي،

في نهاية كلمتي إليكم، هذه التي تنقل الكثير من محبّتي لكم، أدعوكم إلى الكثير من التحرّك، إلى الكثير من التحرّر، إلى الكثير من الخروج من ذواتكم إلى قيم تدعوكم بالحاح، إلى وطن يناديكم بإصرار، إلى إنسان أنتم مسؤولون عن إنسانيّته في هذه البقعة المشرقيّة الغالية على الدنيا.

ومنعةً وعزّة للبنان، وحبّاً لكم، وسلاماً من الله عليكم، كثيراً.

شارل حلو

فؤاد الخوري

• ولد في حدث بيروت سنة ١٨٨٩. وتزوّج من وجيهة بلاّن، ولهما: ميّ ونادیا وجورج وعصام وهدى.

• درس الحقوق اعتناقاً للمحاماة على الفقهاء ملحم ونجيب خلف وسليم المعوشيّ. عاصر الأنظمة السياسيّة والاجتماعيّة في عهدَي المتصرفيّة والانتداب، كما عايش سنيّ الاستقلال وتفاعل مع أحداثها وفعل فيها.

• بدأ في ممارسة المحاماة سنة ١٩١٠، ونزل إلى ميادين الحياة المهنيّة والعامّة، يجاهد ويبلو ويعاني.

• انتُخب رئيساً لبلديّة الحدث سنة ١٩١٦، وعضواً في مجلس إدارة متصرّفية جبل لبنان سنة ١٩٢٣، وعضواً لمجلس نقابة المحامين لعدّة دورات، ثمّ نقيباً للمحامين في سنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٤٠.

• خاض المعترك السياسيّ مع الحزب الدستوريّ سنة ١٩٤٣، فكان أمينَه العامّ لسنوات عديدة، وانتُخب عضواً في مجلس النوّاب سنة ١٩٥١، ثمّ نائباً لرئيس المجلس، وعُيّنَ سنة ١٩٥٢ وزيراً للعدل ونائباً لرئيس مجلس الوزراء.

• انضوى إلى غير جمعيّة خيريّة، ثقافيّة واجتماعيّة، وساهم في تأسيس بعضها، وكذلك في جبهات سياسيّة ووطنيّة مناهضةً للانتداب، أو صدّاً لسياسة الانحياز بلبنان صوب المحاور والأحلاف الإقليميّة والدوليّة، وناصر في تأسيس غير جريدة، وشارك في غير مؤتمر من المؤتمرات الحقوقيّة في لبنان والخارج، ألقى خلالها خطباً ومحاضرات.

• أوْلى شؤونَ طائفته الارثوذكسيّة اهتماماً كبيراً يخدم ويرعى قضاياها، محامياً وعضواً في المجلس المليّ لأبرشيّة جبل لبنان (١٩٢٠ – ١٩٧٨) وفي المجلس الملّي العامّ للبطريركيّة (١٩٥٠ – ١٩٧٥).

• كرّمه عام ١٩٦٤ مجلسُ نقابة المحامين بمناسبة انقضاء أكثر من خمسين سنةً على ممارسته المحاماة، واحتفاءً بصدور كتابه «سوانح خمسين» في حفل رعاه رئيسُ الجمهوريّة الأمير فؤاد شهاب.

• كرّمه الرئيس سليمان فرنجية، سنة ١٩٧٣، مع بعض نقباء المحامين السابقين، وقلّده وشاح الأرز الأكبر.

• كرّمته الحركة الثقافيّة – أنطلياس – سنة ١٩٨٨، علَماً من أعلام الثقافة والأدب في لبنان.

• توفّي في ٢٥ آذار ١٩٨٩

• مؤلّفاته:

– المحاماة ١٩٤١

– سوانح خمسين ١٩٦٣

– من الزوايا ١٩٦٨

– النيابة في لبنان ١٩٨٠

– من مشارف المئة ١٩٨٨ (لبنان: وجوه حضاريّة)

– على رصيف العمر ١٩٨٩ (أصداء شعريّة)

• الأوسمة التي حملها:

– وسام الاستحقاق اللبنانيّ المذهّب

– وسام الأرز من درجة ضابط

– وسام الأرز من درجة كومندور

– وشاح الأرز الأكبر

– وسامان من بطريركيّة أورشليم للروم الأرثوذكس، ومن بطريركيّة الأسكندريّة ووشاح القبر المقدّس.

والدي كما عرفته

الوزير عصام الخوري

يومَ تُوفيّ والدي، كان يحمل على كتفيه مئةَ سنة من العمر. وكان لا يزال، حتّى اللحظاتِ الأخيرة، رجلَ الرأي والحضور والموقف.

عشتُ معه أكثرَ من نصف قرن، ولم أستطعْ، يوماً، أن أتخيّلَه بعيداً، أو في ضباب المخيّلة. الحديثُ عنه حديثٌ عن الماضي. الحديثُ إليه حديثُ فرح وحياة.

اليوم، أخاطبه بالرّسالة نفسها التي خاطبتُه بها منذ إحدى عشْرةَ سنةً؛ وكان ذلك يومَ أصدر كتابَه الأخير «على رصيف العمر»، وطلب إليّ أن أكتبَ المقدّمة...

فَشلتُ في تقديمه. ولكنّني حاولتُ أن أرسمَ صورتَه، كما عرفتُه، في جميع مراحلِ حياتِه وتطوّراتها.

اليوم، إذ أستعيد رسمَ هذه الصورة، لا يمكنني إلاّ أن أقول: والدي هو «بابا»!

لا يمكنُني أن أرى صورةً أخرى.

إنّها الصورةُ الأحبُّ والأجمل.

أعرفُ أنّ الرجالَ الكبارِ، إذ يرحلون، لا يغيبون، بل يكثّفون حضورَهم. ولكنّ نظراتي إلى أبي تتجاوز الحجمَ إلى القلب، فلا أرى إلاّ «الأبوّة»... وعنها أتكلّم بالقلم إيّاه الذي كتبتُ به سنة ١٩٨٩.

يومَها، وتحت عنوان «رسالة، لا مقدّمة»، كتبتُ:

أبي الحبيب

سألْتَني أن أكتبَ مقدّمةً لكتابك الجديد: على رصيف العمر، ووجدتُني أكتبُ إليك رسالة.

المقدّمات، يا أبي، محاولاتٌ للتعرّف والتعريف،

أمّا الرسائلُ فكلماتٌ من القلب إلى القلب،

وإذا كانت المقدّماتُ كؤوساً لخمرة الشعر، فاسمحْ لي، يا أبي، أن أجعلَ من رسالتي كأساً، لا اقدّمُ خمرتَك المعتّقة فيها، بل أقدّمُها لك كأسَ حبّ، ساكباً فيها قطرات ممّا أعطيتني، وما أكرمَ العطاءَ يفوحُ من يديك عطراً، وينسكبُ من شفتيكَ وقلبك زاداً ومحبّة وصلاة.

أبي الحبيب

للمرّة الأولى، أكتبُ إليك،

منذ طفولتي وحتّى اليوم، لم أكتبْ إليك مرّة، ولم يكنِ القلمُ – على عظمته – وسيلةَ التخاطب بيني وبينك.

لقد كنتَ لي، في كلّ يوم، في كلّ صباح، في كلّ لحظة، الأقربَ والأحبّ. وكنتُ أُقبلُ عليك، أخاطبُك، أحدّثُك، أحاورُك، وأتدلّل... وكانت الكلمةُ على اللسان، أو من خلال النظرات والحركات، أفصحَ من كلّ الرسائل والكتابات.

أمّا اليوم، فأكتبُ إليك، أكتبُ للمئة عام، الماثلة في جسدك النحيل، البارقة بالعزم على الحياة، المشعّة بالفضيلة والأدب والوطنيّة والعلم،

أكتبُ للنفس الكبيرة والجسد المتعب، وفي البال قول المتنبّي:

وإذا كانتِ النفوسُ كباراً

تعبتْ في مُرادها الأجسامُ

أكتبُ للتاريخ، والقلمُ شاهدٌ، والكلماتُ شهاداتٌ، وللتاريخ – أنت والتاريخ – أن يحكمَ لي وعليّ.

أبي الحبيب

لا لشكرٍ أكتب إليك، ولا لتعبيرٍ عن حبّ،

لا لتكريم أو تمجيد أو تسجيل موقف،

لا لأهنئَك بالمئة عام تُكملُها غداً، في ٢٩ آذار – ألا تتذكَّر يا رجل؟ – ولا لأدعوَ لك بطول العمر – ووجودُك في الدار صلواتٌ في قلبي –

بل لأذكرَ واتذكَّرَ وأُذكِّرَ:

كان ذلك، يا صاحبَ المئة عام، منذ خمسين سنة، وكنتُ طفلاً، كانت الحياةُ لعبةً، وكنتَ أنت وأمّي – ألفُ رحمة على روحها – وإخوتي، العالمَ الكبير، فلا يَطلعُ صباحٌ إلاّ على بسمة وقبلة وصلاة، ولا تغرب شمس إلاّ على لمسة حبّ ودلال.

وأذكر: قامةً متوسّطةً رفيعةً صخريّةَ العود، وجهاً أسمرَ تلوح فيه علاماتُ سهر وكدّ ورجولة، مشيةً أنيقة على توترّ خفيّ، وحكايات وحكايات... وفي كلّ حكاية أمثولةٌ تَتّخذُ، مِن خلال الكلمات والحركات، شكلَ المسرحيّة التي تعلّم وتحرِّض. أذكرُ اليوم، يا أبي، أنّ الرصانة التي عُرفْتَ بها، كانت في تلك الأيّام، وفي أجواء المنزل والأصحاب، تمتزجُ بالكثير من الطفولة والمراهقة، وتتلوّن بخيوط من الدعابة والمرح، وتتشكّل بزنبقة من براءة وعفويّة، أو ببنفسجة من خَفَر وتواضع.

وتدورالأيّام، وأُصبحُ في عمر الدراسة، وأذكرُ تلك الصباحات، وأنا أحمل حقيبتي وأتوجّه إلى المدرسة، وتلك المساءات، وأنا أعود، والفروضُ أكثرُ من الهمِّ على القلب، وتبقى أنت، وعلى الرغم من المشاكل والزوّار وواجبات رسالة المحاماة، حريصاً على اختلاس اللحظات وتطويع الزمن، لممارسة دور الأب والرفيق والراعي: صوتك يسأل ويستفهم، يهمس ويعلو، يحذّر ويشجّع، يبارك وينبّه... وأحسُّ فيك نوعاً من الكبرياء التي تريدها أن تتقمّص أفعالاً، من خلال الذين يحملون اسمك، ويسيرون على هديك، ويجسّدون حلمك الواسع البهيّ – وكلُّ ولدٍ، في النهاية، هو حلمُ أبيه.

في المدرسة أو الجامعة، يا أبي، كنتَ أنتَ رفيقَ الدرب والمسيرة، لا تُهمل ولا تُمهل، فكأنّكَ أنتَ المدرسةُ والجامعة، المعلّم والأستاذ، المراقب والمسؤول؛ ويتساءل البعض: من أين تخرّج عصام؟ من هذه المدرسة أو الجامعة، أم من مدرسة أبيه وجامعته؟ أمّا أنا فلا أميّز، وأنتَ الذي لم تعلّمْني يوماً عُقوقاً، ولو لنبتة في الطريق... معهم حقّ، يا

أبي، الرفقاءُ والأصدقاء والأقارب. لقد كنتَ لي المعلّمَ الأوّل:

علّمتني أن أكون ذا رأي وموقف وقرار؛ وإحدى وصاياك: قناعة المحامي قبل قناعة القاضي.

علّمتني الصدقَ كلاماً وعملاً؛ وأصفياءُ اللّه، في مبادئ مدرستك، لا مسافةَ عندهم بين الكلمة والفعل.

علّمتني أنّ الحقيقةَ هي الغايةُ وسُدرة القيم، وأنّ الغايةَ لا تبرّر الوسيلة، بل على العكس؛ فهما يتكاملان، سعياً وراء الحقّ والحقيقة. فالنفس لو التوت على الدرب فَسُدتْ، وبالتالي، ضلّتِ الغايةَ.

علّمتني جرأة المواجهة والنضال وعدم المساومة، فلا التواءٌ ولا اعوجاج، بل كلمةٌ حرّة لا تكذب، لا تخطئ، لا تخجل، لا تجرح، إنّها كلمة البناء والنور، وكم سمعتُكَ، يا سيّد الكلام، تنصح بعفّة اللسان وتردّد:

جراحاتُ السِنانِ لها التئامٌ

ولا يلتامُ ما جَرحَ اللسانُ

وعلّمتني، يا أبي، الترفّعَ: فلا انحناءٌ أمام درهم، ولا سُكرٌ أمام مَغْنم أو جاه. وعلى لسانك – والتجارب عديدة – المحاماةُ رسالةٌ، وأصحابُ الرسالات لا يضعفون.

وتعود بي الذكرى، هنا، إلى يوم انتخابك نقيباً للمحامين، والذكرياتُ لُمَحٌ مضيئة: يومها، يا أبي، أحسستُ فيك زهواً وتحدّياً. هؤلاء الذين سلّموك الأمانة، حمّلوك مسؤوليّةَ الرقيّ والتقدّم، فلا تتويجٌ ولا انصرافٌ إلى مجد فارغ أو فراغ المجد، بل مضاعفةٌ للعمل والجهد، وانكبابٌ في العمق على الملفّات والقضايا، وحركةٌ ناشطة لا تعرف الكسلَ والتردّد، فأنت نقيبُ النخبة، ولا شرف لك أو مجد إلاّ من خلال كرامة مرفوعة يعتزّ بها جسم المحاماة ويكبر. وكلماتُك، إثر انتخابك نقيباً، تشهد: إذا انقسم رجالُ السياسة فرقاً، وتزاحموا أحزاباً، فَلْنتحدْ، نحن المحامين، حزباً واحداً يعمل للدفاع عن الحقّ، وشعارُنا: كرامةُ المحاماة بتأديةِ الواجب واتحادِ القلوب والعقول.

تُراني، يا أبي، يومَ انتُخبْتُ أنا، في تشرين الثاني ١٩٨١، نقيباً للمحامين، كنتُ أمشي على خُطاك؟ لستُ أدري. ولكنّني ما زلتُ أذكر أنّك، يومَها، حملتَ تسعين سنةً من النضال والحبّ، ونزلت إلى قصر العدل، خفيةً عن عينيّ، وكأنّك تجدّد العهد والوعد، من خلال الابن الذي نذرتَه لمتابعة الرسالة.

وأذكر، يا أبي، يومَ حملتْك ثقةُ الناس لتصبحَ نائباً في المجلس النيابيّ... كانت «الحدث» الحبيبة، يومَها، في مهرجان عرس. واحد من أبنائها، من أبناء الشعب الطيّب، أوصلتْه الجدارةُ والعصاميّة إلى مرتبة القيادة – والقيادة، في ذلك الزمان زعامة وجاه وأرستقراطية وغرور. وتبقى أنتَ أنت، محامياً عن الناس، مدافعاً عن الشعب، ورائداً في القانون والعدالة. بابُ منزلك لا يُغلقُ في وجه طارق، وجسدُك لا يتعب في مرافقة صاحب حاجة، وصوتُك لا يصمت عن حقّ. لم تكنْ سياسيّاً بمعنى الاحتراف السياسيّ، ولهذا أتعبتك النيابةُ حتّى الزهد. أتساءل اليوم: السياسة لم تدخلْ شيئاً إلاّ أفسدته، ولم تدخل بيتاً إلاّ لتستقرَّ فيه وتستوطن، فمن أين كانت لك تلك المناعةُ، لتجعلَ من السياسة رسالةً، تمارسها قائداً لا مَقوداً، وتتعالى عليها زَحفاً على البطون وضحكاً على الذقون وسلعةً تجاريّة خبيثة؟

وكما حملك الشعب، يا أبي، إلى سُدّة النيابة، هكذا حملك المسؤولون إلى سُدّة الحكم، يوم عُيّنتَ وزيراً للعدل ونائباً لرئيس مجلس الوزراء. أذكر يومَها، وأنا طالب، أنّني أصبحتُ ابنَ الوزير فؤاد الخوري. تُرى كان ذلك شرفاً أم مسؤوليّة؟ أمّا أنت فصلابتُك لا يشوبُها غرور، ومنعتُك لا يَخدشُها منصب. وتجتمع العائلة حواليك، لتكونَ لك الكلمة – الأمثولة: شرّفوا أنتم الوزارةَ، ولا تجعلوا الوزارةَ تشرّفكم.

سمعتُها، يا أبي، ولا يزالُ صوتُك يتردّدُ في أذنيّ. ولم أنسَ، والوفاءُ لك وفاءٌ لتعاليمك. وأنتَ شهدْتَ، واللّه يشهد.

وتتابع الأيّامُ دورَتَها، ويكبُرُ أطفالُك الخمسة، أنا وأخي والشقيقات الثلاث، وتبقى أنت – وأمّي – المعلّم والهادي والضوء. علّمتنا الحريّةَ والمحبّةَ والمسؤوليّةَ والوطن. كلمتُك، ولو صائبةً، لا تعرف الأمرَ والإكراه، إلاّ في حالة الخطر أو الخطأ. عند ذلك يتحوّل الهدوء إلى عاصفة، ويزمجر الأسدُ مدافعاً عن عرينه وعن المستقبل. حنانُك الكبير لا يعرف الحيادَ أو الانسحاب: بعضُه عدلٌ، وبعضُه تحليلٌ وتقويمٌ حتّى الإصرار. نكبر، نختار، نعمل، نتزوّج... وأنت، لا تَهرّبٌ ولا استقالة. حرّيتُنا خيارٌ، ولكنّ القرارَ هو استلهامٌ منك ومن تعاليمك ومواقفك. كان الحوار، ولا يزال، طريقَك ومبدأَ حياتك، تمارسه في البيت كما مع الناس. ويوم وقفتَ، في السنوات الأخيرة ضدّ هذه الحرب المجنونة في لبنان، كنتَ تقف ضدّ العنف وضدّ القهر وضدّ الاحتلال، مؤمناً بأنّ أفضلَ وسيلة للبقاء هي الإصرارُ على البقاء، وأنّ أفضلَ محامٍ للبنان هم اللبنانيّون أنفسُهم.

لقد أوجعتْك الحربُ، يا رجلَ الصلابة والثبات، وأيبستك، فلم تَهربْ أو تُسافرْ أو تَهجر. تمسّكتَ بالحدث وبالمنزل، تمسّكَ بالوطن والتراب، واستمرّ سلاحُك الوحيد كلمةً تقولها أو تكتبها، وصلاةً إلى اللّه كي يُلهم ويُصلح ويُنقذ.

صلاتي، يا أبي، أن يطيلَ اللّهُ بعمرك حتّى ترى لبنان وقد عاد إليه صفاؤه واستقلالُه وكرامةُ شعبه.

عذراً، يا أبي، لقد كتبتُ وأطلت، ولكنّ الحديثَ معك وعنك يغري.

وعذراً ثانية، لأنّني نسيتُ المقدّمةَ ونسيتُ الكتاب، فكأنّه ممنوع عليّ، وأنا ابنُك، أن أشهد لشعرك وفيه، تقيّداً بشرائعَ تَمنعُ الشهادة ما بين الآباء والبنين؟

وهل تحولُ بنوّتي لك، يا رجل، دون أن أكونَ واحداً من قرّائك أو المعجبين بك؟

لا، يا أبي، شهادتي فيك، وإن مجروحة، إنّما هي شهادة للحقّ. لقد رأيتك، وأنت في المئة عام، تكتب، تقرأ، تصحّح، تعدل، تفتّش، تستشير، وتهيّئ مجموعتَك الشعريّةَ الوحيدة.

وأعلمُ، يا أبي، أنّ الشعرَ لم يكنْ لديك احترافاً، بل هوايةٌ وملجأ، فإليه تهرب في ساعات العزلة أو لحظات السأم أو هنيهات التعب من واقع أسود.

وأعلمُ أنَّ الشعر، بالنسبة إليك، لم يكنْ مَذْهَباً، بل كان تعبيراً عن شخصيّتك، وكأنّه رمادُ النار المشتعلة فيك. لم تكتبْه متصنّعاً، بل جعلتَ أسلوبَه مرآةً لذاتك، وقديماً قيل: الأسلوب هو الرجل. من هنا كانت هذه

الجماليّةُ المستندةُ إلى الأناقة، وهي تقترنُ بهذه المعاني المقتلَعةِ من واقع الخبرة والحياة.

شعرُك، يا أبي، هو بعضُك، في ساعات الصفاء والأنس والوحدة. اعتبرتَه أنتَ هامشيّاً، وجعلتَه «على رصيف العمر» وكتمتَ صوته حتّى أضحى «أصداء» خافتة، ولكنْ اسمحْ لي، يا أبي، أن أحملَه قربانةً مقدّسة، وأن أجعلَ منه هديّةَ حبّ وإخلاص وإيمان، لإخوتي، للأصدقاء، للزملاء المحامين، لرفقاء الطريق، لأبناء الحدَث، ولكلّ الذين أحببتَهم وأحبّوك.

ويا أبي

كلمة أخيرة أُوجّهها إليك:

أنتَ اليوم ممدّدٌ على سرير المرض والاستشفاء،

ووطني اليوم ممدّدٌ على صليب العذاب والقهر والقذائف المجنونة،

أمّا أنا، إزاءَك، ففي غصّةٍ وحزن، وفي عتب على نفسي:

لم أتعلّمْ منكَ، كفايةً، القوّةَ على المواجهة والصبر على الشدائد...

فباللّه عليك، علّمْني، ولو بكلمة أو نظرة، كيف تكون المقاومةُ، وكيف يكونُ الانتصار على الحزن والوداع والرحيل.

ويا أبي... أنا أحبُّك.

عصام، الحدث ١٦ آذار ١٩٨٩

شاهين رفّول..
يترجّل من قدره
ويبدع في الحجر أقـداراً

هو..

من مواليد ١٩٦١، في مشغرة بالبقاع الغربيّ، لبنان.

رافق الرسّام وجيه نحلة (١٩٧٢-١٩٨٣)، ودرس النحت على نفسه.

حائز على بكالوريا فنّية في فنون الإعلان، ومجاز في الهندسة الداخليّة.

شارك في معارض جماعيّة، منها في لبنان: معرض الأونيسكو - معرض الخريف متحف سرسق - معرض الفوروم، سوليمار، غاليري بخعازي - غاليري بخعازي (٥) - معرض الربيع من تنظيم وزارة التربية - مهرجان الفنّ ٩٥ - إنترناشونيل كوليدج - بينال مالطا الأونيسكو - بيروت مدينة ثقافيّة - غاليري صادر.

وقدّم معارض فرديّة في: غاليري بخعازي (٣) - المجمّع الثقافيّ أبو ظبي - ديترويت غال - غاليري صادر للفنّ والثقافة

كان لمعرضه النحتيّ الخاصّ الثالث ١٩٩٥ عن (حاضر فينيقيا) صداه، فقال فيه سعيد عقل: هكذا يكون النحت في إبراز الحضارة!

بعض المجموعات الخاصّة: وزارة التربية الوطنيّة / لبنان (لوحتان) - نقابة المحامين لبنان- السفارة اللبنانيّة / أبو ظبي - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (قصر البحر) / أبو ظبي - صالة المزادات كريستيز / دبي - د. سليم الحص / بيروت - ألاسكوا، مبنى الأمم المتّحدة / بيروت (٤ منحوتات) - قصر الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان (٤ منحوتات) / أبو ظبي - قصر إيلاي خوري / ديترويت - الموسيقار محمّد عبد الوهّاب، (لبنان) - نصب شهداء لواء الحرس الجمهوريّ / القصر (لبنان) - نائب رئيس المجلس النيابيّ إيلي الفرزلي (لبنان) - اللواء د. خلف المطايري (السعوديّة) - الشاعر جورج غانم (لبنان) - الشاعر سعيد عقل (لبنان) - الشاعر رياض فاخوريّ (لبنان)

تنفيذ دراسات وأعمال في الهندسة الداخليّة في لبنان والإمارات العربيّة

المتّحدة والولايات المتّحدة الأمريكيّة.

شاهين رفّول..

نحّاتٌ مغامرٌ في الصّعب الجميل بصدق وصبر وإبداع غزير...

اللوحة المنحوتة / الجداريّة، والحروفيّة الفينيقيّة، والتنويع النقشيّ، والتعتيق والتذهيب، والرسالة / الالتزام..، هي عناوينُ مكوِّناتٌ لما صار عليه النحّاتُ المهندس شاهين رفّول، وهو بَعدُ في العقد الرّابع من عمره. وما يُنتظَر منه كثيرٌ ومُثير، ما دام أنّ أفقَه البحثيّ مفتوحٌ على المغامرة في الصّعب الجميل بصدقٍ وصبر وإبداعٍ غزير...

الـ *NDU Spirit* كان لها معه هذا الحديث:

• كيف بدأتْ مسيرتُك الفنيّة؟

– منذ صغري، أحببتُ الأعمالَ الفنيّة وتأثّرت بها، من خلال بعض الفنّانين، من رسّامين ونحّاتين، الذين كانوا يتردّدون علينا. ومن ثَمَّ أصبحتُ أتردّد على محترف جاري الرسّام وجيه نَحله، حيث باشرتُ الرسمَ الكلاسيكيّ والتجريديّ.. إلى الحُروفيّة.

أمّا اختياري النحتَ، فكان من تجربة خاصّة، إذ أحسستُ به وتعلّقت أكثرَ ممّا أحسست وتعلّقت بالرسم، فتعمّقتُ فيه بأبحاث حول تجارب فنّانين قدامى ومعاصرين، من دون أنَ أتأثّر بأحد، إذ كنتُ مصمّماً على أن يكونَ لي خطّي المستقلّ الواضح والجديد؛ ولا زلتُ أعمل في هذا الاتّجاه. ومن ثَمّ عمدتُ إلى أبحاث على الحجارة والصخور لجهة النوعيّة أو التكوين الجيولوجيّ والصلابة وما شابه..

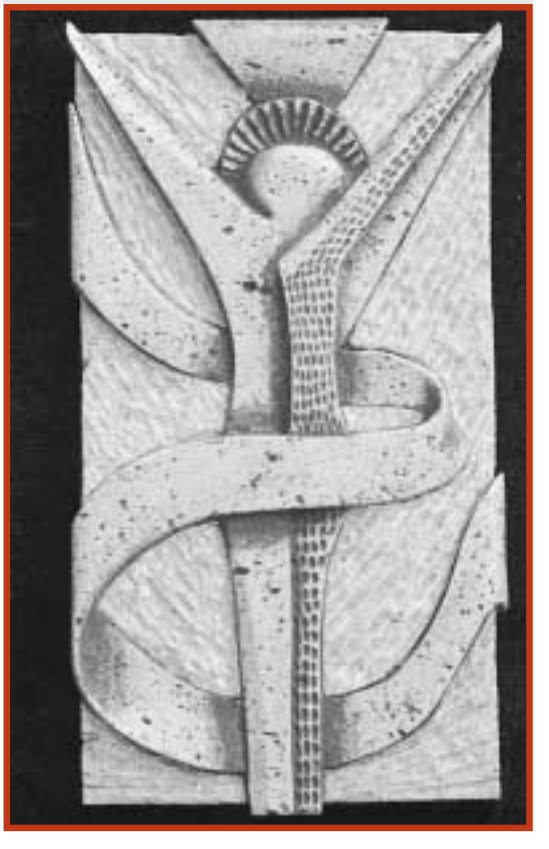

• لماذا تخصّصتَ في الهندسة الداخليّة، وليس في النحت؟ وكيف تربط بين هذه الهندسة والنحت؟

– لم يكن في لبنان، خلال الحرب، من جامعة تختصّ بالنحت بصورة جدّيّة. وقد شعرتُ، من خلال الهندسة الداخليّة، بإمكان أن يتكاملَ اختصاصي هذا مع ميلي وممارستي للنحت. فالمهندس، كما النحّات، يعمل على الأشكال والأبعاد الثلاثة والموادّ المختلفة. وقد كان مشروع تخرّجي من جامعة الروح القدس في الكسليك بتنويه: متحف للنحت والرّسم في وسط بيروت.

• كيف تصف أسلوبَك في النحت، وتدرّجَك فيه؟

– في المرحلة الأولى، مرحلة اختبار الصخر، أنتجتُ أشكالاً هندسيّة بخطوط متوازية و«غرافيك»، ومواضيع تجريديّة. ثم بدأت المرأةُ تظهر، لتحتلّ سائرَ أعمالي. وفي المرحلة التراثيّة الحضاريّةَ بقي للمرأة بعضُ حضور. واليوم، تعود الكلاسيكيّة لتطبعَ أعمالي.

ولكنْ، لا انقطاع بين هذه المراحل، بل ثمّة ما يربط بينها من حيثُ الموضوعُ والأسلوب.

وإنّ ما يميّز أعمالي هو اللوحة المنحوتة (Bas-Relief)؛ فقد احتلّت حيّزاً كبيراً في معارضي. وتميّزتُ أيضاً بإضافة موادّ إلى الصخر، كالتطعيم بالبرونز أو الحجر الأزرق أو التلبيس بورق الذهب أو التعتيق من جهة؛ وبالتنويع النحتيّ من الخام إلى المقلّم إلى المنقّط وسواها من جهة ثانية...

• لمَ ركّزت على اللوحة المنحوتة؟

– لتقريب الناس من النحت. فقلّةٌ مَن عندهم مكانٌ للمنحوتات ذات الأبعاد الثلاثة. ولذلك، نهجتُ طريق الجِداريّة. وقد لقيتْ الاستحسانَ والإقبال.

تحدّد معالم وجه أو جسم أو أيّ شكل آخر. هي خطوط شاعريّة إنسيابيّة تُلغي التفاصيل، وتُدخِلُ الموضوعَ في الحجر، وتترك للجزء الخام أن يُكمِلَ لعبةَب الجمال.

الخطوط القاسية والقويّة، في النحت، تزعج العين. تَعاملي مع الحجر يشبه تعاملي مع الانسان، أي لا صدام ولا إزعاج، بل حضانةٌ وجيرة.

يهمّني جدّاً أن يَنفذَ الموضوع إلى دواخلِ المُشاهدِ مثلَ حُلمٍ أو نعاس، وليس بفَجَاجة ووقاحة.

• كيف تولد المنحوتة؟

– النحت يتطلّب اندفاعاً قويّاً وجهداً كبيراً. وأنا أعمل بغزارة، وألعب بالحجر كما الرسّامُ بريشته على اللوحة.

نحتي مبنيٌّ دائماً على موضوع معيّن، أَصلُ إليه بعد بحث طويل. فلكلّ قطعة حكايةٌ أو رسالة تتبلور بعد جُهد. أناَ أصنع مجسّمات جميلة، هكذا ببساطة! منحوتاتي تخدم موضوع بحثي. أقرأ كثيراً. وأنا أقرأ، في وقت ما، يتراءى لي ويتشكّل عندي طَيفُ منحوتة، أرسمها على أيّة ورقةٍ، ثمّ تبدأ مرحلة التنفيذ.

وأحياناً، تأتيني الفكرة من مخزون اللاوعي، فأحدّد الموضوع بعد حوار مع الصخر. أرسمه ضمن إطار يشبه حدوده. وترافق عمليّةَ الحوارِ حالةُ تأليف شعريّة، لا أستطيع أن أرسمَها مسبقاً. أنحت خطّاً / مفتاحاً، ومنه أنطلق في عمل لا أستطيع تحديدَه نهائيّاً ومسبقاً.

• هل كلّ معرض من معارضك مستقلّ عن سواه، أم إنّ ثمّةَ رابطاً ما بينها؟

– بالتأكيد، في معارضي، على الدوام، أسلوب واحد وتواصل. إلاّ أنّ في كلّ معرض، منحوتةً أو اثنتين هي مفتاحٌ لمعرض جديد. هناك دوماً تواصلٌ وهدفٌ وقضيّةٌ معيّنة أعالجها.

• ما الهدف من الإضافة، وكيف تتعامل معها؟

– الإضافة هي لمساتٌ مدغدغةٌ للحسّ، كونُها تخفّف من جمود الحجر وبرودته، وتكسر الرتابة. إنّها ضربات قليلة وحركات صغيرة

• يُلاَحظ، أخيراً، عملُك على استنباط حُروفيّة فنيّة جديدة، هي الحروفيّة الفينيقيّة..

– الواقع أنّني قررتُ، بعد بحوث طويلة ومعمّقة في مجال الحضارة الفينيقيّة، أن تتناول معارضي هذه الحضارةَ وما في جَنَباتها من موضوعات تعود بنا إلى الجذور والتراث، فحاولتُ استحضارَ الماضي وقَوْلَبته في شكل تأليفيّ حديث. لقد عالجتُ معظم الموضوعات التي شكّلتْ معالم هذه الحضارة، وفي مقدّمتها الحروفُ الفينيقيّة والميثولوجيا والأساطير والطقوس الدينيّة؛ كما عالجتُ انتفاحَ هذه الحضارة على البحر المتوسّط وسائر العالم وصولاً إلى الأرجنتين، من خلال التبادل التجاريّ والعلوم،.. وذلك باللوحة المنحوتة والمنحوتات ذات الأبعاد الثلاثة.

ومن معالجاتي «شراعُ المعرفة»، حيث نقشتُ الأبجديّةَ الفينيقيّة بشكل حديث إلى حدّ ما، تدليلاً على كون هذه الأبجديّة نواةَ سائر الأبجديّات في العالم. ولي منحوتاتٌ تمثّل أشخاصاً ورموزاً وقصصاً ومعالمَ تاريخيّة...

ولكنّ المعالجةَ الأساسيّة كانت الأبجديّة، التي ظهرت في جميع أعمالي بشكل تزييني، ما يَعني أنّني أدخلتُ الحروفيّة الفينيقيّة في العمل الفنيّ النحتيّ.

• إذاً لك طريقتُك المغايرة. فكيف كان لك أن تُضفيَ على منحوتات عصريّة لمساتٍ عتيقة؟

– لقد حاولتُ التوفيق. فلو استحضرتُ الماضي كما هو، فلن يكونَ لي من فضل. ما فعلتُه هو أنّني أسبغتُ الشفافية على موضوعات الماضي، التي هي أشبهُ بالقصص، باعتبار أنّ كلَّ منحوتة تحكي قصّةً عن حقبة، وقولبتها في شكل جديد. أمّا عمليّةُ التعتيق فلها مراحل، بحيث يُضْفَى لونُ الماضي العتيق على الصخر تباعاً.

لقد قصدتُ الأماكنَ الأثريّة، وتعرّفتُ إليها من كثب، ودرستُ مفعولَ الطبيعة في الحجر، وعمليّةَ التآكل والتعتيق الحاصلةَ على مرّ العصور.

نعم، قمتُ بدراسات وتجاربَ عديدة حتّى توصّلت إلى طريقة تمكّنني من إعادة الحجر إلى حدٍّ ما إلى طابعهِ القديم. وهكذا تحوّل محترفي إلى مختبر. وبهذا التعتيق تتميّز أعمالي أيضاً.

• أليس النحت شاقّاً، وقلّةٌ مَن يمارسونه؟

– لا شكّ في أنّ النحتَ عمليّةٌ صعبة جدّاً، وخصوصاً عندما يتعامل النحّات مع الرخام. وبالمقارنة مع الرسم، فالنحّاتُ قد يُحسن أو يتقن الرسم، لكنّ الرسّام لا يستطيع أن يكون نحّاتاً لسببين أساسيّين:

أوّلاً، لأنّ النحت يتطلّب طاقة جسديّة عالية، والصبر والوقت..

وثانياً، لأنّ النحت يتطلّب معرفة بالحجر وطرق التعامل معه..

وكما أشرتَ، فالنحّاتون قلّة. وبالتّالي، فإنّ مفهوم النحت هو شبه مفقود لدى الناس. فهم يتفاهمون مع اللون أكثر ممّا مع النحت. والفنّانُ نفسُه يفضّل أن يجسّد فكرتَه أو مشاعرَه باللون أو الموسيقى أو الكلمة، بدلاً من تجسيدها في منحوتة تتطلّب جهداً كبيراً مضنياً، ووقتاً طويلاً، وصبراً بلا حدود. إلاّ أنّ عزاءه لا يوصف، عندما ينجز عمله، فيراه كائناً فنيّاً جميلاً، وقد كان في العدميّة وحجراً مهملاً في الطبيعة. إنّه يشعر بفرح العطاء، كالأمّ الوالدة بعد مخاض وألم عسير.

• كيف تقوّم رسالتك كفنّان؟

– رسالتي هي في خدمة الوطن والتراث، بتسليط الضوء على جذورنا وماضينا العابق ببخور المعرفة والعلم. وأنا أرى أن يكون الفنّان صاحبَ رسالة، وملتزماً بقضيّة تتمحور حولها أعمالُه. وعليه أيضاً البحثُ والتجدّد والتغيير والتقدّم فنيّاً ضمن الرسالة التي التزم. فالفنّان ابنُ بيئته وتراثه، والمرآةُ التي تنعكس فيها جماليّاتٌ مختزَنةٌ في محيطه.

• هل ترى أنّ للنحّات اللبنانيّ دوراً في تأليف الوجه الجديد للعاصمة بيروت وسائر المناطق. وكيف يمكن أن تشارك في هذه النهضة؟

– أملي كبير في دور النحّات اللبنانيّ في ورشة إعادة بناء لبنان على وجه حضاريّ. ومشاركتي منوطة بالعروض. ومن حقّ النحّات أن يدليَ بتطلّعاته الفنيّة، فيربط عصبَ الحاضر بغموض المستقبل. والفنُّ، من شأنه أن يظهّرَ وجهَ البلد الحضاريَّ والثقافيّ.

• كيف ترى إلى الحركة النحتيّة في لبنان حاليّاً؟

– حقيقةً، نتاجُ نحّاتينا قليل. ومن صُلب رسالتهم المتابعة. أضفْ إلى ذلك ما يُقام من مهرجانات نحتيّة تُغني بعضَ مساحات من لبنان بأعمال أجنبيّة، تزاحم بعضَ الشيء أعمالَ النحّات اللبنانيّ.

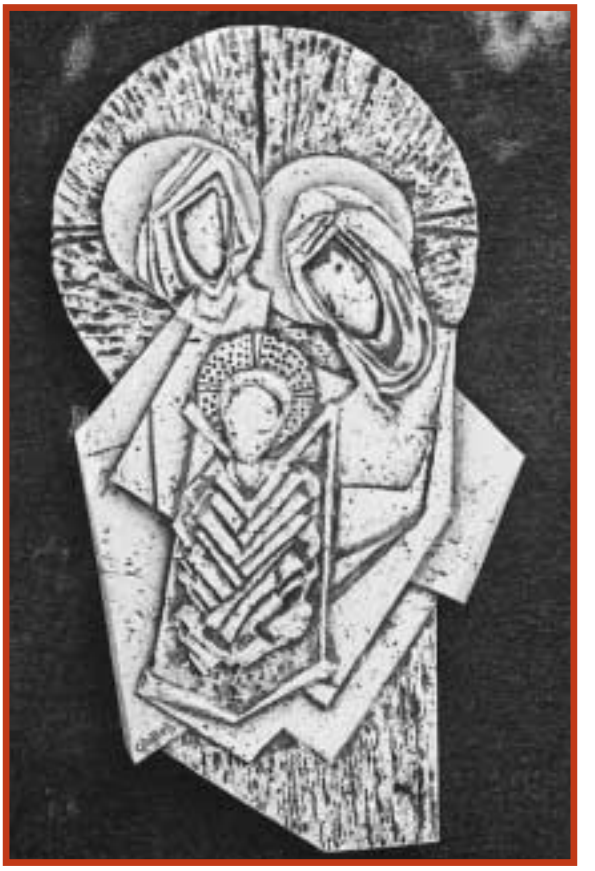

«مَقام الربّ» في عكّار: هيكل للإلهة نميزيس والإله كايروس كالوس

أنور صابر

قرب قرية «الباردة» في منطقة الدّرَيْب في عكّار، آثارٌ لهيكلٍ من الطراز اليونانيّ فريدٍ من نوعه في لبنان. إنّه «مقام الربّ».

يقع هذا الهيكل على مُنحدر وادي نبع الجَعلوك، قبالةَ موقعِ مزارٍ شهير للعذراء يُدعى «سيّدة المعين»، تَصلُ إليه عبر الطريق التي توصل إلى منجز – مفرق قرية دِنكه، في طريقٍ ترابيّة إلى اليمين قبل قرية الباردة.

وما يميّز مقامَ الربّ عن باقي الهياكل ذات الطراز اليونانيّ أو الرومانيّ أو غيرهما أنّه مبنيّ من أحجار بازالتيّة ضَخمة، بديعة التقصيب والحَفْر، مع الأَخذ بعين الاعتبار الصعوبةَ القصوى في حفرَ أو تقصيب أحجار البازالت السوداء الجافّة والقاسية؛ وهو عملٌ يستدعي مهارة فائقة.

جانب من الهيكل

ويُستدلُّ من بعض النقوش التي اكتُشفت في الموقع، أنّ هذا الهيكلَ بُني في القرن الثاني للميلاد. وقد لحظه في البدء العلاّمة دوسو (René DUSSAUD) عام ١٨٩٧[١]. ثمّ دَرَسَتْهُ، عام ١٩٠٢، البعثةُ (الألمانيّة) التي ترأّسها بوشستاين Otto Puchstein[٢].

ومع أنَّه لم يُسمحْ، في حينه، للبعثة الألمانيّة إلاّ بفحص سطحيّ للموقع، فقد أظهرت دراسةُ تلك البعثة ما يأتي:

– إنّه هيكل مُعمَّد (Périptère)، أي تحيط به أعمدةٌ منفردة، من أحجار بازالتيّة سوداء، طرازُ تيجانها خاصٌ جداً. فهي ليست دُوريّة ولا إيونيّة ولا كورنثيّة. (أنظر الصورة).

– المَقدِس Cella، (وهو

مقصورة الإله، أي موضع تمثال الإله عند اليونان والرومان) تتصدّره الأعمدةُ في واجهته فقط (Prostyle)، وهو مبنيّ على قبو (Crypte).

– الكتابات اليونانيّة المحفورة في مقام الربّ ثلاث:

١– على قاعدة تمثال نُحتتْ دِرعٌ مدوّرة نُقِش عليها:

(إلى) الإلهة أثينا (مقدّم من) دروسوس، كاهن.

(وهذه القاعدة التي نُقشت عليها الكتابةُ أعلاه هي مختفية الآن، كما كَتب، عام ١٩٦١، هنري سيريغ (Henri Seyrig)[٣].

٢– على قاعدة ثابتة، في واجهتها الأماميّة، نُقش ضمن إطار (Cartouche) على شكل ذَنَب السنونَوة (Queue d'aronde) ما يأتي:

«**العام ٥٧٣**[٤]، **في شهر Péritios (شباط)، كايروس كالوس (Kairos Kalos). دروسوس قدّم (هذه التقدمة) عرفاناً**».

وعلى القاعدة نفسها، في واجهتها الخلفيّة، نُقِش رَسْمُ دولابٍ بثمانية أضلع، وفوقه اسم (Nemesis).

٣– وعلى حجر استُعمل في تعديل لاحق للبناء، في الموقع نفسه، وَجَد كالايان (M. Kalayan) هذا النقش:

«**(على كلفة) الكنز المقدّس، (سنة) ٤٧٥**[٥]،

نقش على «ذنب السنونوة»

أحد التماثيل

بُني هذا الحائط في ولاية الكاهن سازوبا ابن باريون (باريونوس)

وتحت حكم ابيدّارانو ابنه وأبو ديمّو ابن سابيو»(٦).

وما يستوقفنا من هذه النقوش الثلاثة ورودُ اسم الإلهة نيميزيس (Nemesis) والإله كايروس كالوس (Kairos Kalos).

فماذا عن هذين الإلهين؟

إن الإلهة أثنيا كانت تمثّل في البلاد الآراميّة – الكنعانيّة الإلهة عناة، أو عشتار أو عشتروت، وهي الإلهةُ المحاربة.

وقد أصبحت في البلاد الأموريّة الكنعانيّة (وعند الايطوريين) الإلهة نيميزيس (Nemesis).

وفي مَقام الربّ، من المرجّح أنّ القاعدةَ التي تحملُ النقشَ الأوّل كانت متوّجةً بتمثال للإلهة نيميزيس (Nemesis)، والقاعدةَ التي تحمل النقشَ الثاني بتمثال للإله كايروس كالوس (Kaĩros Kalos).

وقد وُجدت وطيدةٌ (جزءٌ مربّع منخفض من قاعدة عمود) من البازالت محفورٌ عليها دولاب بشكل نافر، ويبدو أنّه كانَ يَتّكئ على رِجلٍ تمثال.

وهذا النموذج لا يتطابق إلاّ مع تمثيل الإلهة المذكورة نيميزيس.

(إذا عُرفت عناة بأنّها الإلهةُ الكونيّة، فنيميزيس المندمجةُ فيها فِي البلاد الأراميّة الكنعانيّة كانت سيّدةَ المصير الكوني).

دولاب الحظ – رمز نيميزيس

أحد تيجان الأعمدة بطرازها الفريد

القبو

أمّا عن كايروس كالوس فلم يُكتشفْ حتّى الآن سوى مذبحٍ واحدٍ مكرّسٍ له، في معبدٍ في بيزنطيا[٧]، وقد كُتب عليه:

«إلى القدوة الحسنة، إلى ربّ الحظّ، إلى كايروس كالوس، إلى الأمطار، إلى الرياح، إلى الفصول الأربعة».

ويَعتقد هنري سيريغ أنّ مشاركةَ نيميزيس مع كايروس كالوس في مَقام الربّ هي لجلب الحظّ والأزمنة السعيدة؛ فتاريخُ بنيانه (٢٦٢ م) هو مهمّ، لأنّ البلادَ كانت تتخبّطُ في الحروب بين الرومان والفرس منذ العام ٢٥٦م؛ ولذلك نذر الكاهن دروسوس نذره.

أمّا في العهد المسيحيّ، فقد تحولّ مَقامُ الربّ إلى كنيسة، جُعلت حنيّتُها في مقدّمة الهيكل، فأُبقي على الأعمدة في أمكنتها، وسُدّت المساحةُ الفارغة بينها بحجارَة من المعبد إيّاه.

ومن الممكن، أنّ هذه الكنيسةَ كانت على اسم العذراء مريم، تعويضاً على عبادة أثينا أو نيميزيس سيّدةِ المصير الكونيّ.

المراجع:

١- DUSSAUD, René: Revue Archéologique, 1897, I, p.308

٢- D. KRENCKER et W. ZSCHIETZSCHMANN, Rôm. Tempel in Syrien I, pp. 102 sq

٣- SEYRIG, Henri, Mélanges de l'U.S.J. Fasc. 15

٤- لليونان أو للأسكندر، أي العام ٢٦٢ م.

٥- لليونان أو للأسكندر، وتطابق العام ١٦٤ للمسيح.

٦- ابيدّارانو يعني خادم (الإله) هادارانيس Hadaranès وقد وُجدت نقوشٌ لهذا الإله في نيحا وبيت مري.

وأبو ديّمو اسم مشهور يعني أبا أمّه (كما Emmedabonas، مثلاً، التي تعني أمّ أبيها).

٧- SEYRIG, Henri, Op. Cit. p. 267

العولمة والإبداع

د. الياس الحاج
عضو المجلس الوطنيّ للإعلام المرئيّ والمسموع

العولمةُ تواصُلٌ وتبادلٌ تحت مظلّة كونيّةٍ، من خلال شبكاتِ الاختزالِ والاختزانِ.

هي كرةُ الأرضِ مجتمعةً في حفلِ تعارُف.

هي منتدى الهويّاتِ والأعراقِ والألوان.

هي منبرُ الخبراتِ المتجسّدةُ في أنشطةٍ وابتكاراتٍ وإبداعاتٍ.

العولمةُ تعدُّديّةٌ في اتّحادٍ، أو اتّحادٌ فيه التعدّدية.

لا ذوبانَ للخصوصيّة، لا سحقَ للكيان، ولا طمسَ للذّات.

التّعاملُ والتّبادلُ يطوّرانِ نحو حداثةٍ مستحَبّةٍ نافعة.

أمّا تغييبُ الذّاتيّةِ فتفخيخٌ منفّرٍ.

... لا عولمةَ من دونِ إعلام.

بل لا عولمةَ إلا من خلالِ الإعلام.

وحدَه الإعلامُ يَهدِمُ جدرانَ اللاّمعرفات.

وحدَه يُزيلُ العوائقَ ويطيحُ الحواجزَ ويبدّدُ التّنافرات.

بين الإعلامِ والعولمة، في غرّةِ الألفيّة، علاقةُ ارتباطٍ لا يَقبلُ الإنفصال، كتلكَ التي في ثنائيّةِ الإنسانِ لجهةِ مَدرحيّته.

باتَ الإعلامُ يُمسكُ بزمامِ العولمة.

مُعوَّقٌ كلُّ انتهاضٍ ريادِيٍّ، مبتورٌ وكسيحٌ، من دونِ الإعلام.

لذا، إنَّ الإعلامَ الذي هو اليومَ الأهمُّ، هو أيضاً الأخطرُ.

يا ويلَ الأرضِ من إعلامٍ يُسوّقُ لمهلكاتٍ ومفاسد.

ونعْمَ الأرضُ، بل نعْمَ الحياةُ، إنْ حرصَ الإعلامُ فيها، على مدِّ الأمداءِ وحقنِ الأجواءِ بشحناتِ القيمِ الارتقائيّة...

قد تكونُ العولمةُ من حتميّاتِ المعطياتِ التّقْنيّةِ في غرّةِ الألفيّةِ الثالثة.

هي الغزوُ الملقّنُ والملقّحُ تحت رايةِ الجبرِ والقسرِ والقهر.

لذا، تشكّلُ هي حالةَ رعبٍ عند الدّولِ النّاميةِ، إذْ ربّما أيقظتْ هاجسَ الغزوِ الثقافيّ أو الدّينيّ.

متخلّفٌ مَن لم يواكبْ.

وغبيٌّ مَن سلَّمَ وواكبَ، مغمضَ العينين، مشلولَ الاستكشافِ، مكتفياً بالتلقّي من دون البثّ والإرسال.

ولئن كانتِ المواكبةُ واجبةً، فالإنجرافُ جريمة.

ألعولمةُ شاشةُ تحدٍّ، وخطوطُ اجتياحات.

هي الإنذارُ المبكرُ ببدءِ الصّراعِ مع الزّمنِ في الطّريقِ إلى القِمم.

ستحملُ هي الحداثةَ إليك. ستوافيكَ بالإبداعات.

وبإمكانها أنْ تجعلَ كرةَ الأرضِ قريةً إعلاميّة إعلانيّة.

وحدَها تمحو الحدودَ وتلتهمُ المسافات.

وحدَها تَربطُك، حيث أنت، بأقطارِ العالمِ والأطراف.

وحدَها تُطلعُك على المحظورِ من كتبٍ ودوريّات... وهذه كلُّها إيجابيّات.

أمّا سلبيّاتُ العولمة، فقوامُها ألاّ تتحولَ هذه العولمةُ الزّاحفةُ، إستعماراً للبنى والقدرات، يَفرضُ المستوردات، ويَطمسُ المحليّات، التي تشكّلُ في كلّ خصوصيّةٍ خزينَها التّراثيّ.

الإبداعُ عندنا، هو بَعدُ فكرٌ وشعرٌ، فَجَّرَتْهما أريحيّةٌ استحرّتْ فوقَ وهجِ المعاناة.

في كلِّ كلمةٍ نبضُ قلبٍ وسيلُ عواطف.

في كلِّ عبارةٍ دغدغةٌ لنفْسٍ مضطربةٍ غيرِ مطمئنّة.

وفي كلِّ فكرةٍ جَبْهٌ لواقعٍ وطرحٌ لحلول.

عبثاً نرجّي منَ العولمةِ حلولاً لواقعِنا نحن.

فلا أحدَ يتفلسفُ عن الآخر، أو يُعاني عنِ الآخَر، أو يُحبُّ عن الآخر.

لذا، نحن نَرفضُ الكتابةَ الآليّةَ إنْ وافتْنا بها العولمةُ الواعدة.

نحن عشّاقُ حياةٍ، نرفضُ الكلماتِ الميتةَ والجامدة.

نرفضُ العواطفَ المُمَكْنَنةَ والمعلَّبة.

نرفضُ الكتابةَ من أجلِ الكتابة، يَكتنفُها الغموضُ، ويحاولون أنْ يُقنعوكَ بأنّ قيمتَها في الغموضِ الذي فيها.

وما نقولُه في الكتابة، نقولُه في سائرِ الفنون.

لن نتنازلَ نحن عن ريشةِ المُبدع، ولا عن إزميلِ النحّات، ولا عن هندسيّاتٍ جَنَحَها الخيالُ، ولا عن هَزّةِ خصرٍ في صبيّتِنا المَغناج...

ولن نتنازلَ حتّى عن مطبخِنا اللبنانيّ الصحّيّ، كي تَفرضَ علينا العولمةُ المصنّعاتِ المسمومةَ في الهمبرغر والهوتدوغ والكاتشاب، وما شابه...

... ومن حماقاتنا في لبنان، أنّ اللّقمةَ المتعولمةَ، دفعَتْنا بكلِّ غباءٍ إلى هجرِ معجَنِنا البلَديّ، وإلى الوقوفِ صفوفاً طويلةً أمامَ الماكدونالدز والبيتزاهت وما شابه...

ألعولمةُ وعيٌ، تتطلّبُ أنْ نواكبَها بوعي.

جديدُها لا يعني أنّ قديمَنا فاسد.

فكمثلِ ما يَضخّونَ علينا معلَّباتِهم، تَستحثُّنا الثقةُ بالهويّةِ، وبالخصوصيّة، على ضخِّ عنديّاتِنا بكلِّ المباهاة.

... نحن، قبلَ التقنيّات، أسّسْنا للعولمة، حين صدّرْنا من لبنانَ مُبدعين، ربطوا لبنانَ بالعالم، وكادوا تحت لمعانِ النّجوميّة، أن يُلَبْنِنوا العالَم.

... تَعولَمْنا بجبران والنّعيمة والرّيحاني وأبي ماضي، وآخرين...

تعولمنا بشارل مالك ورينه حبشي وشارل قرم وجورج شحاده، وآخرين...

تعولمنا بأساتذةٍ في جامعاتِ العالم، بأطبّاء في مستشفيات العالم، وحتّى بتجّارٍ في أسواقِ العالم.

...

ألعولمةُ مدٌّ مشى.

إنْ صَدَدْنا جَرَفَ. وإنْ تراخيْنا نَسَف.

نحن في الشّرقِ خزّانُ قِيَم.

نأخذُ من العولمةِ تقنيّاتِها وما يَدفعُ إلى مزيدٍ من ارتقاء، ونَردُّ إلى المنشأِ سقطاتٍ، في وَرَمِها خُبثٌ فانهيارٌ فموت.

يا وطني مسكين أنت

سبحانَ من رفعكَ لتصفعَك العاصفة! ومهَّد إلى الوهدة حواشيك، ليضجَّ البحر على قدميك، «بحيتانه» وجَزر ومدّ.

فلا رقّت الموجة وما لانت العاصفةُ لألوف اللّهفات، تلويك لتلاشيك...

والنسرُ ما يزال يَنشد محطّاته عليك، ويتمرأى السحابُ، ويَنعبُ الغراب...!

الطحالب تنمو في جسمك البهيّ تمصُ أبهَّتك، والحنان والسناء...

فلا ضننتَ بمصة رحمةٍ على غرسةٍ وعلّيقةٍ، ولا حبست شعاعة على عينٍ...!!

تُفجِّر من صدرك النميرَ، فتهدرُ الجرار...

وتعطش هامتُك لبلَّة رحمة وصَحوة نهار وهدأة صفاء...

ينام الكنار على ذراع قلّته، وأنتَ الموهوم بالعلوّ، تُمعِنُ بالعزّ ولا حَنوةَ لك على ذراع...

مَحجّاتُ العبور تغور فيك، وأنت تلفُّ العناكب وتُخفيك الهَيولات.

فلا فُسُحاتُ أحلامك تنجيك، ولا لَهوات سلالمك تقرّبك من الفضاء!!

حتَّى الدُّوريّ يلطأ بعراويك، ويسكع الهدهد على ريّا حنواتك...

وأنت تحضن القصبةَ المرضوضة، وترعى ضعاف الغبسراس...

وتسكت عن الخلد ينكت ترابك...!

وتُتعتعك وصلةُ «بو الزلف» وضحكةُ سحر... وفيروزةُ ليلة قمراء...

يغمركَ الضباب، فتذريه بنهوند كنار...

وتميل غيماتُك الرقاق، فتزوغُ معها على خَدَر الأساطير...

وتندف الفراشةُ، من ورداتك، لحافاً ولوناً وسَنيَّات.

فتغصُ بنشواتك الجوفاء وعبيرها المهاجر إلى فم الدوريّ والوثنيّ..

تتغرزُ في هذا الجوّ...

فما أضعفك في الحساب!

وأبعدك عن النفاذ...!

تخال الرياحَ وشوشات محبّةً، فتغمض عينيك على صفاقة الذرافة...

وغباوة النعام... مرتّاحاً إلى الصعتر والوزّال، تتوقّل عليهما إلى الشمس...

مسكينٌ أنتَ!

أين مخبأ رأسك والشهقات، من الهبوب؟!!

تخال صخورك مشاطيحَ مقمّرةً، والبواسقَ صولجانات!

زرعتَ الشعابَ مشاتلَ ورد سقيتها دماك، فنمتِ الأشواكُ في عينيك

وخمّشتْ خدَّ الاله فيك.

يكرُّ عليك كلُّ أقرنَ، أجمّ... وما تزال الحمامةَ المبشّرةَ بالسلام، تتلقَّى الصواعقَ لا تطرفُ لك عين...

أكلت لُبحاءَ أرزاتك «جراذينُ» رَبيَت على أرغفتك، فلمّا ورمت بطونُها، قامَرت ببقيّاتِ حشرجاتٍ وتنادت تقترع عليك، فخدشتْ ملامحك

وهوّرتك إلى البوار...

وإلى اليوم، لم تتأدَّب بعد... وأنت مرميٌّ على كلّ باب، تنسج، من أوهامك، أحلاماً ملوّنة...

تدّعي أنّك بقصائدك، تُرقص الكونَ على أوتار سفر الأناشيد.

وتُسندُ السماءَ بأرزاتك

وتُنير الرؤيا، بومضة صيف!

بحياتك يا أيُّها المصلوب الأبديّ! يَبِسَت ضلوعُك من شَدّ القابلات... فنَقِّ براءتَك، إنْ كنتَ لبنان!...

لأهدأُ عليك أن تعودَ إلى غابة جُحور الضباع... على أن ينتفَ بذقنك، مَن ائتمنتَهم على الدروع...

لأضمنُ لك أن تعودَ إلى عهد «الطبنجة» والشروال، ولا تلتقطُ الحَسكَ من فَضَلات حصّاديك وتتسمَّرُ بزلاعيمك، إلى الأبد...!

أما تزال، حتَّى هذه الصفعات... تدّعي أنّ السحاب مرقاتُك، وأوكارَ الدعويقة مخابئُ الآلهة، فتتلمَّظُ الزعرورَ البريَّ، والندى المعصورَ على سنّ الضبّ والزرزور...؟

فتعيش على كسرِ الخبز، تَزقُمك إيّاه «حماتُك» على عتبة الدارِ بلَيلاتك الضائعة؟!!...

ويا ربّ! سألتُك، بهذه البحار من الدموع والدماء، أن تخلقَ، من هذه الحجارة، أولاداً بَررةً للبنان...

د. عصام حدّاد

إيلي مارون خليل

صَوْتُك.. يُلْبِسُني عُرْيَك

I

يا صَوْتَها العاري
كَيْفَ تَغُلُّ في خَلايا حَنيني
تَسْتَظِلُّ دَوْحَ أنيني
تَنْبَجِسُ مِنْ أَجْراسِ سِنيني
تَلْتَهِبُ في ذاكِرَةِ جُنوني
وَتَعْصِفُ

II

يا صَوْتَها اللَّقاحَ
كَيْفَ فَجَّرْتَ لَذَّتي الغَنِيَّهْ
لَوَّنْتَ شَهْوَتي البَهِيَّهْ
أَثْرَيْتَ خُصوبَتي السَّنِيَّهْ
أَبْهَجْتَ أَحاسيسي الأَبِيَّهْ
وَنَفَذْتَ

III

لَوَدِدْتُ لَوْ أَعَرْتَني ذاكِرَتَكَ
لَفَضَضْتُ خاتَمَ الْكَوْنِ
لَرَسَمْتُ أَضْواءَ اللَّوْنِ
لَقَرَعْتُ مَجامِرَ الشُّعَراء

IV

لَوْ...
لأَلْبَسْتَني عُرْيَ صَوْتِكَ
لأَهْتِفَ:
يا غَيْمَ الحُرِّيَّهْ
وَأَصْهَلَ:
يا روحَ البَرِّيَّهْ
لَوْ...
لأَقْلَعْتُ بِجَسَدِكِ وَالضَّبابِ

V

يا صَوْتَها
فاجَأْتُكَ بي تَخْتَمِرُ
فاجَأْتَني بِكَ أَنْسَكِبُ
كَيْفَ مَحَوْتَ ـ عِنْدي ـ
ذاكِرَةَ الاشْتِعالِ
وَأَرَّقْتَني:
دِماءَ تَوَهُّجِ الإِبْداعِ
رِياحَ أَشْرِعَةِ الإِقْلاعِ
ياصَوْتَها
شَوْقَنا اللاّيَرْتَوي
نَحْوَ السَّرابِ
نَحْوَ مَجْدِ السَّرابِ

خطّار يوسف الحلو

على قارعة الذكريات

ما أجملَ الوقوفَ بين الحين والآخر على قارعة الذكريات، يتأمَّل المرءُ، المصابُ بزكامِ العصر وفيروساته، والمشوَّهُ بالكهولة والتَّعب المزمن، نفسَه عندما كان متماسكاً كمصارع الثيران، وجذّاباً كآلهة الأولمب، فيتحسَّرُ ويغصُّ بالأسى. يخامرُني هذا الشعورُ عندما أنبشُ خزانةَ الصور القديمة، أو أقعُ على دفترٍ مدرسيٍّ قديم، يختبئ بين أوراقه العتيقة عبيرُ المراهقة اللذيذ، أو تجمعُني الصدفةُ الغريبةُ بإنسانٍ تقاسمتُ معه يوماً مقاعدَ المرحلة الابتدائيّة؛ كما حدث لي أمس عندما كُنتُ ماراً أمامَ قصر العدل، فرأيتُ رجلاً ضخمَ الجثّة؛ على رأسه الكبير الأصلع الذي يشبه علبةَ بسكويت، تتناثرُ شعيراتٌ قصيرةٌ بيضاءُ اللوَن، ويرتدي سترةً رثَّةً تحمل بقايا اللون الفستقيّ؛ وبنطلوناً كالخرقة التي يستعملها عاملُ التنظيفات، وحذاءً عسكريّاً قديماً، يحاولُ إيقافَ السيّارات العابرة بحركات تنمُّ عن القصور العقليّ، وما من سيّارة تستجيبُ لإشاراته. قال لي صديقٌ كنتُ أعبرُ برفقته تلك الطريق: «هذا الرجلُ اعتاد الوقوفَ في هذا المكان منذ سنوات طيلة النهار، غيرَ عابئٍ بحرٍّ أو بقرّ. أمّا في الليل، فلست أدري إلى أين يذهب!». وعندما اقتربت منه وتوضّحت تقاطيع وجهه القاسي، ذُهلت لشبهه الكبير برفيق الصِبا سيمون. أمّا هو فلم يكتف بمحاولة إيقاف سيّارتي، بل راح يناديني باسمي بنبرة لافتة، تحملُ معنى الاستغاثة والمعرفة الشخصيّة، فأيقنت عندها أنّه سيمون بعينه.

لا أُخفي غصَّةً أمسكت بداخلي، وكاد الدمع يطفر من عينَيّ. لكنّي أكملت السير وقلبي يشدُّني إليه، وخوفي يحثّني على الهروب منه تاركاً رفيق الصِبا تبتلعه الحياةُ مرَّةً أخرى، ربّما لا نلتقي بعدها أبداً. الغريبُ أنّ (سيمون) عاد ذات صباحٍ إلى ذاكرتي فجأةً ولأوّل مرّة منذ ذلك الماضي السحيق. وعادت أيضاً ذكرياتُ التكميليّة الرسميّة، ووجوهُ الرفاق، والمدير والناظر والملعب الترابيّ، والكاراج والحدّاد العربيّ، والمراحيض الباليّة حيث تتكدّس الأقذارُ، وتنطلقُ الروائحُ وجيوشُ الذباب، لتخنقَ حتّى عابري الشارع العامّ.

كان اسمُه سيمون، وكنّا نلقّبه بالدرويش لإنسانيّته المفرطة. وقد رماه الدهر بعصابةٍ من الأولادِ النزقين إنْ لم أقلِ الزعران، يجعلون منه أداةً للتّسلية المَقيتة في تلك الأيّام الرَّتيبة، التي يأسرُني الحنينُ إليها، ويعذّبني الندمُ على تلك التصرّفات الشاذّة، والألمُ على ما كنّا نسبِّبه لسيمون من معاناة لا تُطاق.

لو كانَ للتكميليّةِ الرسميّة لسانٌ لنطقتْ ضدَّنا بشهادتها أمامَ محكمة الزمن. ولو كان المديرُ الصارمُ المتزمت يدري بتصرُّفاتنا، لسلخ الجلدَ عن اللحم بقضيبه العوسجيّ و(طبشته) المصنوعة من خشب الزّين الذي لا يعرفُ الانحناءَ، والتي تهبطُ على الأكفِّ النديَّة هبوطَ سيف عنترة على رقاب أعدائه، فتلمع في الهواءِ كبارقِ تكشيرته المزمجرة «ركاع ولاه».

ولا بدَّ للمجرمِ من أن ينهار على ركبتين مرتجفتين، غير آبهٍ بفتات الزجاج وبالحصى المسنَّن الأطراف. الفزعُ يطيِّر الوجع. ولكن، لوقت محدود يعودُ بعدها ويستقرُّ في الذاكرة إلى الأبد. ويستقرُّ الدرويش في محنته التي لا نهايةَ لها، محاطاً بشلَّة من المستهترين بالكرامة، في عزِّ مراهقة لا تعرِفُ المسؤوليَّة. يتحصَّن بجسده الضخم، وبلاهته المثيرة للاشمئزاز، التي تتحطَّم على سدِّها المنيع كلُّ الشتائم وأساليب التحقير الأخرى. وقد يصلُ الأمرُ بالدرويش إلى الاصطدام بأحدهم، فيدركه الآخرون وينالون منه. يطرحونه أرضاً، يجرّونه على التراب. يبكي ويلَملم نفسَه منتحياً زاويةً من الملعب، حتّى إذا جاء الناظرُ هرولَ نحوه شاكياً. ولكنْ على من؟. على ثلاثة أرباع التلاميذ!. ويطردُهُ الناظر

ساخراً غاضباً غيرَ مصدِّقٍ ليعودَ المسكينُ إلى انطوائيّته المحشورة بخوف ممّا قد يحدث. ولطالما راودتني فكرةُ تركه وشأنَه، وقد لاحَظْتُ الظلمَ يستفحلُ ضدَّه. لا أُنكر أنّي كنت من الناشطين في تحقيره لأنَّه أصبحَ مادَّةً للتَّسلية وملءِ الفراغِ كحيوانٍ في قفص. حتّى المديرُ، عندما يطرقُ أذنَه اسمُ سيمون، يردِّد: «سيمون!... سيمون الدرويش!...». ويبتسم ساخراً. لكنّ الأسى يعود ليجتاحَ محيَّاه، ويقول لطلاّبه مهدِّداً: «إيّاكم والسخرية منه». وقد يُخيَّل للقارئ أنّنا نكرهه. غيابه يترك في وسطنا فراغاً؛ فنجلس نعدُّ الثواني المملَّةَ. ومن حسن حظِّنا أنّ فترات غيابه نادرة جداً. منزله ملاصق للمدرسة، ووالدته لا تطيقه في الفراش إلاّ إذا لامست حرارتهُ الأربعين. فنراه أحياناً يتحامل على مرضه، ويتّكئ على عمود الكهرباء في ظلِّ شجرة الكينا العملاقة، أو يزرعُ زاويةَ الملعبِ ذهاباً وإياباً بخطورته الوئيدة، ويداهُ معقودتانِ خلف ظهره العريضِ المنكبين، ورأسُه منحنٍ قليلاً إلى الأمام، بارزاً عنقاً طويلاً ثخيناً، عندما يقصُّ شعره يبدو أملسَ حتّى أعلى أذنيه. وعندما يأتي من يصفعه خلسةً على عنقه، يستشيط غضباً ويركض وراءه بضع خطوات متثاقلة كوحيدِ القرن، ليهدأ مستأنفاً سيره الوئيد.

وتمرّ الأيّام على سيمون الدرويش تافهةً، ليس فيها ما يشيرُ إلى تقدُّمٍ مدرسيٍّ أو شخصيّ، فلا يحصدُ إلاّ رسوباً لا يعني له شيئاً، بل لا يعذِّبه طموحٌ إلى أيِّ نجاح، يكتفي بالحضور، ثمّ يختفي في الصيف ليظهرَ في الخريف معيداً الأوّلَ التكميليّ للمرَّة الثالثة، وقد أصبح نافراً بين رفاقه الصغار بضخامة جثَّته وخشونته، ممّا زادَه تعقيداً، فازداد انطوائيَّةً وإحجاماً عن الاختلاط بالآخرين. لا يشاركُ باللَّعب والرياضة المدرسيَّة بحجَّة آلامٍ في مكان ما من جسده، ليبقى وحدَه كبعيرِ طرفة المعبَّد، مرتدياً (جاكيت) شتويّةً فستقيّةَ اللَّون وبنطلوناً قطنيّاً سميكاً أسودَ لا أثرَ للمكواة عليه، وقد غطَّت الأوساخُ لونَه الأصليّ. هذا الهندام لا يبدِّله في عزِّ الحرِّ ولا في عزِّ القرّ. لا يخلعه للاستحمام أو عند النوم، بل يرتديه ليلَ نهارَ حتّى يكاد يلتصق بجسده. منذ ثلاث سنوات ونحن نلاحظه في هذه الثياب التي تحمل آثارَ الفصول الأربعة، وتختزن روائحَ العرق والعفن. فلا بدَّ للعابرِ بقربه أن يسدَّ أنفه أو يقطعَ حبلَ تنفُّسه. ولطالما طَردهُ الأستاذ في الأيّام الحارَّة، فيذهب ثمّ يعود حاملاً المزيدَ من الروائح المثيرة للغثيان. وهي أشدُّ إزعاجاً من رائحة دخان الفحم الحجريّ المتصاعد من موقد جارِنا الحدَّاد في الطابقِ الأرضيّ، والذي يقتحم صفَّنا عدَّةَ مرَّاتٍ في النهار.

لقد أصبح الدرويش عبئاً على المدرسة. ودلائلُ تراجعه، مع مرور الزمن، تبدو واضحةً، خاصّةً في السنة الأخيرة لوجودي في التكميليّة. أصبحَ كأنَّه بحاجة إلى مصحٍّ عقليّ، ووجودُه مخالفٌ للقانون. لكنّ المديرَ كان يتغاضى عن وضعه لاعتبارات إنسانيّة. والدرويش يبقى عالقاً في الصفّ الأوّل التكميليّ لا يتزحزح. وعندما تركتُ التكميليّةَ كان سيمون يستعدُّ للمرّة الرابعة لاعادة صفِّه. منذ تلك السنة لم ألتقِ به. لم أسمعْ عنه شيئاً. لم ألتقِ بأفراد تلك الشلَّة الرَّعناء التي كانت تلاحقه بالاستفزاز والتحقير. إنّ الذي بقي في ذاكرتي هو ذلك الفتى المثير للشفقة، والذي لُمتُ نفسي على ما اقترفتُ ضدَّه من آثامِ المراهقة الرعناء. فالدرويش هو جزءٌ من تلك اللوحة التي تجمع بين البراءة والرعونة والألم. هو عالقٌ في الذَّاكرة كنكهةِ الأيّام الأولى، بصوته المميَّز الطبقة والنبرة، ومشيته المترددَّة كأنَّه طفلٌ يجرِّب خطواته الأولى، ورأسه الكبير الذي يشبه علبةَ بسكويت متوسِّطةَ الحجم. وربَّما شعرَ بتبدُّل موقفي في تلك السنة الأخيرة، فكان يحاول التودُّد إليَّ وكأنَّه يجدُ فيَّ الملاذ. كنت الوحيدَ الذي أجالسه لبضع دقائق. وأتصرَّف معه باحترامٍ لم يصدِّقْهُ للوهلة الأولى. كان سيمون يدرك واقعَهُ، فرمقني بعينين دامعتين، شاكياً الأجيالَ الجديدة التي تتناش كرامتَهُ، وقد أصبحَ رجلاً بجسده القويّ وشعر لحيته القاسي الكثيف وصوته الخشن حتّى ليبدو أكبر سنّاً من الناظر. من الواضح أنّه مصاب بخللٍ في النموّ، زوَّده بقوّة هائلة أخرجته من دائرة التحقير، فلا يجسر أحد على التحرُّش به، بل يكتفون بالنيل منه عن بعد.

ثلاثون سنة ونيِّف تمرُّ على آخر لقاء مع سيمون حتّى كدتُ أنساه في زحمة الهموم اليوميّة، وكدتُ أنسى هؤلاء الصبْية الذين تبدَّدوا كدخان الفحم الحجريّ المتصاعد من مدخنة جارنا الحدّاد. وإذا صدف والتقيتُ أحدَهم، فبالكاد أتعرَّفُ إلى بعض ملامحه القديمة من خلال كهولةٍ مهيمنة.

مخطئ من يؤكّد أنّ مصيرَ سيمون الدرويش هو أسوأ من مصير أيِّ واحد من رفاقه. إذا كانت حقائقُ الحياة تعلو فوقَ كلِّ هفوة ذاتيّة كما يقول (غوركي)، فإنّ لكلٍّ منا قدرَهُ الذي لا يستطيع الخروجَ من دائرته. لكنّ الحياةَ قاسيةٌ وباردةٌ كما يصوِّرها (بودلير) في «أغنية الخريف» حيث يدخلُ الشتاءُ كيانَه دفعةً واحدةً، ويفجِّر أحزانهُ المتراكمة مع الرحيل المستمرِّ الغامض، فيشبِّه نفسَه ببرجٍ ينهارُ تحت ضرباتِ المدافع.

بهذه المشاعر الداكنة ودَّعتُ الرجلَ المعتوهَ الواقفَ على قارعة الطريق التي تمرّ أمام قصر العدل.

قليلاً من الإرادة..

يــا شــبــاب!

جسّي كيروز
طالبة صحافة – سنة ثانية

آفة اجتماعيّة تتربّص بكثيرين من الناس، تسلبهم عقولهم، وتفتك بهم فتكَ الهاجس الطاغي!

تلك الآفةُ الأكثر تفشّياً في أيّامنا هذه هي التدخين. والتدخينُ عادةٌ قديمة، لكنّها تتزايد، جيلاً بعد جيل، بحيث باتت السيجارةُ لاتفارق يد الكبار... «والصغار» أيضاً. فهم يشعرون، كما يقولون، بأنّها متعة... وفشّة خلق في أحسن الأحوال. وهل نلومهُم متى عرفنا أنّ النيكوتين، متى آخى الدمَ، يصبحُ كالدم ضرورةً «الأزمة» للحياة؟

ولنَجُلْ في حَرَم الجامعة... جامعتنا، ماذا نرى؟ نرى سيجارةً في يد، وكتاباً في يد...

نرى بقايا سجائر منثورة هنا وهناك...

نرى سائلين ومتفقّدين في الممرّات، وبين الصفوف، وأمام الشبابيك والأبواب تنفث أفواههُم الدخان... نرى ضباباً كثيفاً في الكافيتيريا – المَشْحرة، إلى حدّ ضيق النَفسِ وفيضِ الدمع...

نرى ونرى... ثمّ نسمع هذا وذاك يقول:

قطعتُ وعداً على نفسي بوقف التدخين، ولكن...

حاولتُ كثيراً، ولكنّ إرادتي خانتني... كلّ شيء مسدود بوجهنا، ولم يبقَ لنا إلاّ التدخين مُتنفّساً.

أليس إلاّ التدخين ما يُفسد الصحّة؟ ودخانُ المصانع... والسيّارات... ومولّدات الكهرباء... فهل السيجارةُ هي ما يقدّمُ ويؤخّر..؟

الأطبّاء الذين ينصحون بوقف التدخين يدخّنون... نعرفَ من دخّنوا، كثيراً وطويلاً، لم يُصبْهم شيء، ومَن لم يعرفوا لا طعمَ ولا رائحةَ السيجارة قَطّ وقضَوا بالسرطان...

هذه حياتي وأنا حرٌّ بحياتي...

تعدّدتِ الأسبابُ والموتُ واحد...

وما أكثر ما نسمع!!

الحججُ كثيرة. وما من حجّة تَقلي عُجّة.

والسؤال: إذا سلّمنا جدلاً أنّ التدخين لا يُميت، هل هو ينفع، وماذا ينفع؟

لا شكّ أنّ أحداً لا يقول، ولو بمنفعة واحدة له، بل يكاد الاتفاقُ يسود أنّه مضرّ، والخلافُ إلى أيّ حدّ؟

ناهيك عن هذه الرائحة التي ينشرها، ولا سيّما متى تراكم وتقادم في الألبسة والمفروشات والوَرقيّات... أليست أشبه بالنُتْن؟ وبالتّالي، وإذا كانوا قديماً يسمّون التبغ بالتُتُن، ألا يحقُّ لنا، جوازاً، أن نعتبرَ أنّ لفظةَ تُتُن محرّفةٌ عن لفظة نُتْن؟! ثمّ أليس في نبتة التبغ، الأميركيّة الأصل (من جزيرة تاباغو في خليج المكسيك)، مادّةٌ سامّة؟؟

فلماذا التلطّي وراء الإصبع؟ ولماذا الهروبُ إلى الأمام؟

فقليلاً من الإرادة للتخلّص من هذه الآفة، إنْ لم يكن مرّةً واحدة، فشيئاً وشيئاً...

وإلاّ فإنّها ستتخلّصُ منّا، إنْ لم يكنْب مرّةً واحدة، فشيئاً وشيئاً...

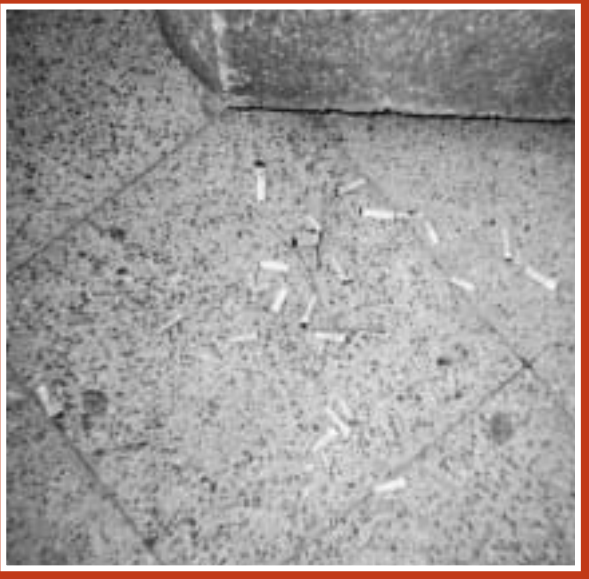

من منشـــورات الجـــامعـة

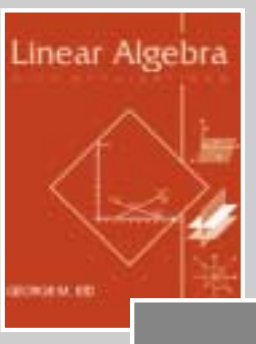

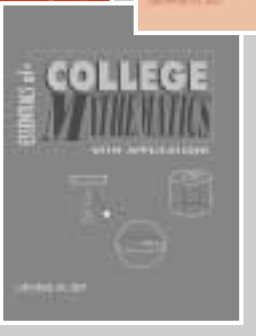

من منشـــورات الجـــامعـة

سلسلة الشّأن العامّ

من منشـــورات الجـــامعـة

سلسلة الشّأن العامّ